

اليوم ،
لا دموع على العشاء



الإهداء :
أمي
أصدقائي
من مشوا بأقدامهم على قلوبنا.

الفصل الأول

| أُحِبُّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الَّذِي يَدَاعِبُ وَجْهِي كُلَّ
صَبَاحٍ لِيُعلنَ أَنِّي اسْتَيْقَظْتُ -انْتَصَرْتُ- عَلى
تُرْهَاتِ يَوْمِ آخِرٍ ، أُحِبُّ كَيْفَ يُمَسِّكُ الأَطْفَالَ
بأَصَابِعِنَا بِكاملِ قَواهِمِ -كِنْداءٍ خَفِي- لا تَذْهَبُ
، أُحِبُّ قَدْرَتِي عَلى لِبْسِ الكَعْبِ العَاليِ فِي
الطَرِقاتِ العَامةِ ، نَظراتِهِم تَشْبَعُنِي ضَحْكَاً
كَأنَّهُم يَقولونَ : " العاهرة " ، أُحِبُّ جاري
"كارلوس" و متجره للزهور التي تتسلل إلى
غرفتي خلسةً وتملؤني بالسكون ، أُحِبُّ أُمِّي
و غرورها الأنتوي -كيف لم ترض- أن
تكون كوزيت ، أُحِبُّ إيماءات الهنود
المضحكة كقولهم "أجل" برؤوسهم ! يعلمون
أن لغة الجسد أصدق الأبجديات ، أُحِبُّ كَمَّ
العطور الفرنسية في حيننا وتناسيهم حقيقة
أننا كنا متعفين لاختراعهم !

أحب المطر - بل أعشقه - وكيف تتحول
طرقنا إلى "صينية من البقلاوة" كما وصفها
صديقي العربي البعيد "عبدو"
أحب القفز من فوق السياج رغم تجاوزي
الثالثة والعشرين .
أحب أنني أحب ما أريد !
أحب علاقة الفناء بين النار والخشب ولذة
نشوتهما معاً ، أحب الحشرات و
استشعارات الصرصار المزرية .
أحب جرأة أبي في تركنا والهرب .
أحب هيرا ، نفرتاري ، ختام تايثانيك ، أغاثة
كريستي ، ميريل ستريب ، تهكمات
دوستويفسكي ، جنون Édith Piaf ، حزن
Dalida وأحبك أنت أكثر .
وأحب ليلتها عندما همست " أنتِ روما
الخاصة بي ! "

ليتني تذكرتُ يومها ، أن روما أُحْرِقَتْ على
يد من أحبها .
لك مني الجحيم أيُّها البعيد عني مقدار قارةٍ
وياسمينتين . |

أتساءل " ماذا إن لم تكن أنا هي أنا ؟ "

دقيقة فحسب ! أقصد :

لو لم أكن أنا الآن عبير التي في مخيلتي أو
كما أسمع ، ماذا لو كان حلمًا بأكمله أصنعه
بيديّ ؟ لو كان حلمًا لِمَ هناك مكانٌ للشر فيه
؟

أحسب أنّها وصفة الحياة المثالية ، نصف
أبيض ونصف أسود ، لا مكان فيهما
للرمادي (أنت) .

تقاطع شرودي البروفيسورة " غارثيا " :
-أهناك ماهو أهم من محاضرتي يا أنسة ؟
-عبير ، عبير محمد .
-أوه ! أنت العربية إذاً ، لا عليكِ عزيزتي
تابعي شرودك
ربما تحلين لغز مؤامرتنا عليكم .
-عفوًا مسز . ليمونت

-أجل مسز. محمد .
-تصرفك الفرنسي الفاحش ليس هو ما يُثير
دهشتي

-واو ! و تندهشين ، أكلمي رجاءً لا يجد
المرء دائماً شيئاً يضحك عليه .

-ما أثار دهشتي هو أول ما تبادر لذهنك ،
مؤامرة ! هه لهذه الدرجة ترعبكم فكرتنا ؟
-من أنتم ؟!

-نحن من صنع التاريخ مسز. ليمونت ، أنت
بروفيسورة التاريخ ها ؟

- أجل ؟

-من بنى أغلب الحضارات ؟ سأجيبك
"العرب"

من أول من حنط وشرَّح وكتب البردي "
العرب "

من وضع أسس أغلب المواد والمراجع
العلمية " العرب "

ومن ومن ومن ، إن كان لديك وقت
نخصص المحاضرة القادمة للحديث عن ذلك
فلا تكفيهم ثلاث ساعات فقط للتعبير عنهم .
-السلوك المعتاد والنزعة القومية ، بلاخ
اصنعي بهم "غوردون بلو" حين تتخرجين
وترين أن سوق العمل مليء بنا و فقط بنا !
لن أثق في أن أشفى على يديك
نعود إلى محاضرتنا و مسز . محمد ،
مداخلة أخرى وأنتِ معفاة من باقي الفصل
الدراسي ، عمتي صباحًا .

يا إلهي يا إلهي ، أتمنى لو أستطيع تقطيعها
ووضعها في طنجرة ضغط و اسكب عليها
النبيد الفرنسي الفاخر ثم ألقها للكلاب ،
مهلاً ما ذنب المسكينة الأخرى ، القمامة لا
شيء سوى القمامة يحتويها .
أكره أمثالها من الفرنسيين !

يعطون انطباعاً سيئاً عن تفكيرنا .
بالمناسبة أنا نصف عربية من أبي وفرنسية
من أمي ، تعرفتُ عليه أثناء إحدى رحلات
التنقيب في مصر .
أقسم أن لعنة حلت عليهم ودفعتهم لمثل هذا
القرار .

الساعة الحادية عشر والرابع ، تُعزف في
دماغي مقطوعة " Swan Lake "
أتمنى لو أنني درست الموسيقى كما رغبت
أو أصبحت راقصة فلامنغو، تانغو أو
راقصة تعري -أمزح- لو كتبت أو غنيت .
لأُعبّر ، أعبّر عن كل تلك الأفكار

والصرخات التي تتحول إلى :

Un latte sans sucre

أمام شباك المقهى وأنا انتظر "جوليا" -سأتي
على ذكر جوليا لكن الآن دعني أكمل- أحسد
الأطفال ، الطفولة هي المرحلة الوحيدة التي
أتمنى العودة إليها رغم قلة السعادة فيها -من
يسمعني الآن يقول أنني فراشة دائخة من
الدوبامين- يستطيعون أن يصرخوا بملء
صوتهم ويعبرون عن أيّ شيء يريدونه ، أنا
جائع يصرخون ، أنا حزين يصرخون ، أنا
لا أريد النوم يصرخون ويزعجون من
حولهم ، يعلموك الدهشة من أبسط التفاصيل
، الشهر الفائت ابن أختي الصغير "ماركو"
أخبرني أنه يشعر بشيء ما داخله أنه جائع ،
خاف أن يكون إحدى الوحوش في قصص
ما قبل النوم !

أكنت بهذه السذاجة؟

لا أحد هنا ليحيب ولا يفيد الجواب ، وأنا
الآن كالمجنونة أحدث نفسي مع سيجارتي ،

قبلتِك يا فتاة أنت الوحيدة التي تفنى لإسعادي

بالعودة إلى "جوليا"!

جوليا جوليا جوليا ، ملاكٌ حارس ؟

أو مجرد فتاةٍ عاديةٍ قادرة كل مرةٍ على

إبهارك كالأطفال تمامًا -ربما هذا هو سبب

تعلقني بها- أنسى معها الفروق بيننا ، أنني

أحب الجلاب وهي تحب اللاتيه ، أرثدي

الثياب العجرية التي تلفت أنوثتي وهي

تكتفي بمكياج قليل و الفستان ذو الأربطة .

لطالما لم أفهم فكرة وجود الأربطة ! أهي

ترميز أننا كالدواب ؟

يقاطعني صوت "جوليا" المليء بالأمان

كعاداته :

-بطلة المناظرات الجامعية في حيننا ، يا

فرحتي!

-أتسمين الجدل مع مسز. ليمونت مناظرة ؟

-صدقيني دماغها ك فرقة الفوشار ، لا
تبالي
كيف كان يومك؟؟
-الآن بخير ، وأنت؟؟
-عادي ، طلبتي قهوتي!!
- أجل، مع الكثير من القشدة والسكر كما
تحبين .

- سأقولها بلهجتكم " دنتي بصماني " .
- والله إن دروس اللغة لم تذهب سُداً .

أتأمل ضحكتها دومًا ، أحب كم تملأني
بالحياة !
رغم جميع المتاعب التي تطرق أبوابي دون
أي استئذان
تريحني ، تريحني هذه الفتاة !

أتجرد أمامها ، أبكي ، أضحك ، أغني ،
أرقص واشرب الخمر دون أي حكم أخلاقي

هذه المرة الأولى التي ألحظ فيها أن هناك
سناً من أسنانها التي تشبه السنجاب - لطالما
كرهت هذا التشبيه- اصطناعي !
أنحب لدرجة عدم الاكتراث بالشكل ؟
هكذا إذاً هو الحب ، يأتي ليحطم جميع
مقاييسك المعتادة .

جوليا : كيف الأخبار مع ويليام !
-لاشيء ، هي من نوع "علاقة الليلة
الواحدة" .

- أبيع ، لا يستحق الذنب أقسم بالله .
- أعلم سيرث ابنه أنفه الكبير لكنني لن أقلق
سأكون في إحدى شواطئ ميامي أحصل
على برونزاجٍ لاصطياد جقل أمريكي .

- إذا ستذهبين ؟
- لا أعلم ، ترهقني هذه المدينة بكل ما فيها
، أختنق
أنا حقًا أختنق ، مثلًا نهر السين هل توقعتي
يومًا أن يفقد بريقه في عيني ؟
البارحة مررت بجانبه ، لم يدهشني بتاتًا !
-عبير لا نستطيع دومًا البحث عن الإثارة
في الحياة .
ما العيب في حياة هانئة بسيطة في الريف
الشمالي ؟
أقسم أقسم أقسم أني أبيعك لأجلها .
-العيب الوحيد هي أنها ليست حياتي أنا !
- أجل تريدين فارس أحلام يأتي ويخطفك
من شباك غرفتك وتسارعون الهرب قبل
علم أمك .
- الله !
يا لطعم الأكشن .

-بلاه بلاه بلاه .

-قفي

- أريد شرب قهوتي في سلام .

- هيا بربك

افتحي يديك

-سنطرد أقسم بالله

- هيا !

-حسناً ، والآن؟

- اصرخي

- لا أريد

- تفيد أكثر من ضرب الوسادة .

صرخنا وصرخنا وصرخنا كثيراً يومها
لم أتوقع أن يُعاد ذات المشهد بعد سنة، ولكن
هذه المرة على بعضنا ، بصمتٍ تام.

أحب حموضة الحب .
ليست حموضة الليمون التي تمعض وجهك
وتجعلك تنفر بعيداً .
حموضة الكرز ، التي تشعلك شهوة
لاستكشافها .
أحب حموضتك ، لكنك عصرتها في عيني .

تقول السيدة الأمريكية هاريت توبمان: "لقد
أسست جمعية سريةً لتحرير العبيد عام
1849، فتمكّنتُ من تحرير ألف عبد".
وعندما سألوها: ما هي أصعب خطوةٍ لإنقاذ
العبيد؟ أجابت: أن تقنعَ العبدَ أنه ليس عبداً.

أصعب ما قد يواجهني يوماً هو تغيير
القناعات الشخصية ، الاجتماعية ، الدينية و
ربما الأخلاقية .

استاء دومًا من كتمان أمي ، تأبى أن تشرح لي وتشبع حاجتي للأجوبة أمام إشارات الإستفهام التي ظلت معلقة في هواء بيتنا منذ كنت في السابعة عشر .

" متى رحل ، لِمَ رحل ؟! "

يأتي الجواب متجهماً من وجهها بلقمة قامعة تدخل فمي .

هه ، هذه رحلتي الصغيرة مع القمع .

حتى " نانا كاثرين " جدتي من صلب أبي ، تكمل حياكتها بصمت يعقبه سؤال آخر ودمعة .

اعتدت الصمت منذ ذلك الوقت ، والآن هنّ من يحتجن على صمتي .

في إحدى ليالي ديسمبر الطويلة سحقت
سيجارتني بعنف -كنت أقصد إبلاغها
رسالتي- نظرت جوليا مطولاً إلي ثم قالت :
-ما بكِ؟!!

- لاشيء ، برد ديسمبر ينخرني

- ديسمبر أم الماضي ؟

- الماضي ده كلام فاضي ، أبحث عن

الإجابات .

- صدقيني لا نحتاج معظم الإجابات .

- لِ؟!!

- لنكمل حياتنا

ربما عرفتي لما ترككي والدك ورحل

ثم ما الفائدة ؟

-أن أنام دون تفكير ، لم أنا دون الجميع بلا

أي انتماء لرجلٍ أضع وفقه مقاييس رجل

أحلامي ؟

دون لحية بيضاء كفستان زفافي

دون صوت خشن ورنه مفاتيح تعلن لي
أمانى؟

أحسد تلك الطفلة الصغيرة ذات الجداول
الحمراء أنها تستطيع أن ترى والدها ملء
رغبتها .

أنا لا أعرف اسمه حتى !

-لو كان شخصًا مفيدًا لحياتك لبقى ، لو إنه
يحمل المزيد من الإضافات في حياتك لبقى،

ثم فكري فيها من الجانب المعاكس !

ماذا لو كان رجلًا لا يحترم المرأة ؟

كيف ستعيشين؟؟

-والآن أنا حية؟!

-على أقل تقدير دون عقد .

مضحكُ المرء كيف يتقاذق عقائده و عقده
أمام الجميع ، أقسم أن شياطيني تراقصت
يومها على حافة السطح و تقزرت في
وجهي .

-أجل دون عقد .
وانتهى الحديث بقمع ، كما عقب كل سؤال
مسبق القمع .

أعشق خريف فرنسا ، أحب حدائقها
الصفراء وقبل العاشقين الخضراء بين
غصونها الميتة ، وألحان ماندلييف وبتهوفن
من المقاهي والتراسات المجاورة .
و نهر السين الذي يئن حنيناً لمن شبكوا
أيديهم العام الفانت أمامه .
أنا مثلك أيها النهر الحزين
أنا مثلك لا أملك سوى الأنين
أنا سيمفونية بتهوفن العاشرة
تمضغني شوارع فرنسا وتبصقني على
أطراف ضواحيها المتمردة .
تمتصني هذه الأزقة
تُمردني، تحرقني، تنفيني وتعلمني .
وأنا الآن بين يديك .
لا أملك في هذه الدنيا سوى عينيك و
خدوشي .

أتعلم شعور أن تكون النسخة السيئة منك ؟
فعلًا أن تستيقظ فتقول " هذا يوم مناسب
للاكتئاب و قتل الفراشات "
للحق ! إن أصلها الديدان ولاشيء سوى
الديدان يا عزيزي .
يغري اللون الكمونيّ اكتئابي .
و تشعله مسز. ليمونت ، العناصر السحرية
الثلاث .

أعدّ المتبقي من محاضرتها ، كتوق مراهق
للتحرر بعد يوم دراسي طويل .
بتجرد راقصة أمام رجلها .
بالحنين إلي ويليام .

مسز. ليمونت :

-وفي ختام محاضرتنا لليوم أعرفكم إلى
طالبنا الجديد " يزن " زميلكم في برنامج
التبادل الثقافي من سورية إحدى دول الشرق
الأوسط ، أهلاً وسهلاً بك .
أود تذوق المحشي ذات يوم ، سمعت أنه لا
يقاوم !

-شكرًا مسز. ليمونت !

مرحبًا جميعًا كما قالت أنا " يزن "
عمري خمسة وعشرون في البطاقة
و خمس سنين أمام عينيها
أمتلك حسًا فكاهيًا يجعل النساء تركض بعيدًا
، أجد الطبخ
وأعلم أنكم لستم مهتمون بمعرفة أي شيء
عني لذا شكرًا !

يا إلهي كم أضحكنتي يومها ، أنا تلك المرأة
التي لم تضحك على جوليا عندما حشرت
المعكرونة في أنفها .

تردف مسز. ليمونت :
-مسز. محمد ستكونين مرشدته السياحية في
جامعتنا .

يا إلهي كم أحببتك يومها وكم أتمنى لو أنتِ
أمامي الآن لأرديكِ بالرصاص .

أمن الطبيعي أن أتعثر في مسيري إليه أربعة
مرات ؟
أم علي الهرب ؟!

ما سر تلك العيون يا " يزن " ما سر
جاذبيتك الغبية تلك ؟

يزن :

هاي ! كيف حالك ؟

-بخير وأنت ؟

- من المخجل لفتاة فرنسية أن تدع يد شابٍ
لوحدها في الهواء .

- إذا صافحها بيدك الأخرى .

- شيئا !

- ما ذاك ؟

- أنثى الأسد

- سترى الجامعة بما فيه الكفاية ، قهوة ؟

- مع الكثير من القشدة رجاءً !

- هه جوليا أهذه أنت ؟

- من جوليا ؟

- توأمي التي أكلتها في رحم والدتي .

- هه مضحكة جدًا .

- لم أحاول اضحاكك .

قلت في قرارة نفسي :
(يا إلهي لم يهرب لم يهرب !
حسنًا والآن اعدلي نفسك وكوني فرنسيّة من
طراز رفيع)

- أجربت يومًا التوست مع الثوم ؟
- كلا لكن أود
- أفضل ! لا تجربه البتة
- إن كنت سأصبح مثلك فشكرًا
- فظ
- صريحة
- حسنًا من هنا أمامك لديك الردهة و البوفيه
اسأل جوليا عن قوائمهم اللذيذة ، هنا مكتب
مسز. ليمونت حيث سنجدها مقتولة يومًا ما
وهنا قاعات المختبر والمكتبة العامة تجد
فيها كل شيء صدقًا كل شيء ، لكن ابتعد
عن قسم الأحفوريات هناك ستجد الثياب

المخلوعة فقط ، وهنا جدار مشروخ وآخر مهترء ، أوه وهذان اثنان في بدايات حبهما ذكرني أن نشاهد دمارهما فيما بعد وهنا ..
-أتعلمين كنت أتوقع أن تكون هذه الجولة مثيرة

واتضح أنها مثيرة للملل يلزمنا هجوم مصاصي الدماء لإثارة حماسك

لن يفيد ، أمامك أكلة لحوم بشر حسناً يا سيد ظريف بأربعة عيون حدثني عنك .

-اسألني وأنا أجيب
- حسناً ، كم عمرك ؟
- أربعون عاماً أمام مآسي شوارع مدينتي و سبعون مع أمي و عشرة سنين مع قناديل دمشق في الساعة الحادية عشر ليلاً و سنتين أمام عينيها .

- الله حدثني عنها الآن .
- كانت كالبذرة لا تعلمين متى تمسي شجرة مهيبة بنفسها وتتكبر تربتها و بذرتها .
- لا طاقة لي للبكاء ، ابكي أنت .
- قد قال الدمع كل ما قد قيل .
- أحقًا الياسمين في بلادكم يملك ذاكرة ؟
- كان ينحني عندما تلمسه و يعبق بثيابي حين اشتاقها ، الحق ؟ هو والست كانا رفيقاي في نسيانها
- الست ؟
- أم كلثوم ، لا تعرفين أم كلثوم !
- فرنسية أنا فرنسية
- لكن والدك عربي
- أرى أن أحدهم قام بأبحاثه .
- لا أحب البدايات المحسوبة
- كيف ذلك ؟

- في البدايات جميعنا نبدو جيدين وجميلين
على الأقل نستطيع التمثيل في الأشهر الست
الأولى ثم تتوالى عيوبنا وماضينا ثم بوم
نتفاجئ ببعضنا .

- تعجبني !

- من دواع سروري الآن سأنام قرير العين
، حدثيني عنك
- لا شيء يذكر

أشاجر أربعة جدران و قبيلة من النساء كل
يوم .

- لا حبيب ؟

- صدقني من يقترب كأنه يقترب من حقل
من الأغلام

- لا يمكن لتلك العيون أن تملك في ثناياها
ضحايا .

- ربما .

كنتَ سريعًا في ملاحظتي و قراءتي
كمَّ أربكتني يومها .
لم تفهمني أمي يومًا لم تستطع جوليا أن تقرأ
خوفي في عيوني .
كيف استطعت أنتَ أيُّها البعيد عني مقدار
قارة وياسمينتين أن تحررني !؟

-ملاحك لطيفة دون مكياج .

يا إلهي ما تشعل تلك الكلمات في داخل
الأنثى .

تمنيت يومها لو تحولت لفتاة صغيرة تملك
ضفيرتين ، تغزلهما بحنان
دون مسميات أو شروط
دون جلبة ما تحمله الأيام .
ودعتك يومها بمصافحة حارة

خجلت للحقيقة من فظاظة لقاءنا الأول ،
انتظرت حتى سعدت المترو ولوحت لي
من بعيد حتى اختفيت بين ضباب باريس
الغبي .

رأيتك تشع من بعيد ، كنهاية نفق عميق .
الكارثة أن يكون هذا الضوء في نهاية النفق
قطاراً آخر قادم لسحقك .

مترنحة أنا من فرط نشوتي بشعور لا أعلمه
- لكن أحبه - أحسسته للمرة الأولى معك .
خلعت نظاراتي يومها سمحت لعيني أن
تتجول حرّة دون ثياب ، مثل جميع من
حولي في المترو دون قيود .

أرى البؤس في عيونهم .
تلك السيدة في المقعد الأول تبكي ، ربما
ابنها أو حفيدها أو عمرها .

و الجندي في آخر المجلس يتكئ رأسه على
الزجاج دون انزعاج من تخبط الطريق ، يا
إلهي ما أقسى تخبطه الداخلي .
لفت نظري العجوز في جانبي
يحمل في محفظته صورة لامرأة أعتقد أنها
مضغت قلبه حتى أنهك .
و العشرينية التي ظلت تزفر طول الطريق .
وأنا الوحيدة بينهم التي تسعد بأنين السن ،
لأنني أملك عينيك .

بالخطوة السريعة بالخطوة العريضة بخطوة
تلامس الغيوم
أقفز من بين عيونهم ، من بين ضوضائهم
لأصل إليك .
وأعلم أن آخر محطاتي أمان عينيك .
أنا تلك المرأة التي لم يُلن قلبها كقالب الزبدة
يوماً .

**Quand la pauvreté entre par
la porte, l'amour s'en va par
la fenêtre.**

" عندما يدخل الفأر من الباب يخرج الحب
من النافذة. "
يا إلهي كم أخشى الصدف ، كوقع عيني
على تلك الكلمات .

كان يمكن أن يكون صباحًا عاديًا من فبراير
مليءً بمواء القطط ، لكن لا
يجب أن يحجز لي القدر موعدًا مع الحرب

عزيرتي الفتاة ،

عندما تبدأين في اختيار ألوان لملابسك غير
الأسود وتشعرين بالحياة تتدفق في أوردتك
أثناء الشتاء .

أغلقي الباب خلفك واركضي ولا تسألي أبدًا

عاهدت نفسي ألا أستسلم أمامك أن أستجمع
كل قواي و قبيلة النسوة داخلي أمامك وأبني
لنفسي حصنًا وأكون ملكة رومانية بجلباب
أبيض من الحرير وتأتي لغزوي باسمك ذي
المنحنيات الوديعة وأنا أسلمك مدينتي بكل
غباء !

سحقًا لي و للحب !

-أحَقًا واقعة في حبه ؟
سألت جوليا ، وضعت القهوة جانبًا وشبكت
يديها :

-من ؟

-ساعي البريد ، يزن يزن !
-تمزحين !! لا أصدق في العادة تقعين في
المصائب

-أرجوك لا تمزحي أنا خائفة للغاية
-مَمَ ؟

-من يزن ، يا إلهي يا إلهي يا جوليا لا ترين
كيف أصبح ذات عامين معه وأضحك على
جميع نكاته السخيفة ، الأسبوع الفائت قال
لي

" ما تقول السمكة الغارقة " قالت
"غرغر" قام بشد أنفي وقال " خطأ
السمك لا يغرق "

يا إلهي كم أبدو غبية أمامه ، احمررت
خجلاً كالطماطم في حديقتك
أطلع البريد باستمرار على أمل الرسائل منه
، اركب المترو بشوق وأصل إلى الكلية
كالفراشة أضحك مع الجميع و أحب حصص
مسز . ليمونت يا إلهي هذا أسوء شيء
توقعته في حياتي .

أزاحت قطعة الكاب كيك و قالت بغم مليء
بالقشدة كفمي حين أهمس باسمك :
-يا إلهي أنت فعلاً واقعة في الحب .

إذاً هو هكذا هذا الذي اسمه حب ؟
يوئلمك من الداخل إلى الخارج
أشعر أن صافرات الخطر تشتعل في كافة
خلايا جسدي ما إن أقل اسمك .

ليلة الخامس من فبراير ، أرجوحة وقلبك
والقمر (أنت)
-حدثني عن دمشق ، يحدث أن نحب مدينة
بسبب شخص .
-آه من دمشق ، أتمنى أن أموت بين أزقتها
العتيقة أن يمتلئ قبري بالياسمين
أقسم أنها تؤنس وحدتك ليلاً ، دمشق أو
الشام كما يلقبها عاشقها
تمتلئ بكِ حتى آخر أنفاسك و يسري بردى
في أوردتك
لي علاقةٌ غريبة مع بردى الحزين وسط
ضجيج يومياتها الصاخبة
يعج في الأعماق و هادئ في خارجه مثلي
ومثلك .
لكنه على الأقل يعرف وجهته عكسي .
كنت هناك وكان الياسمين ، لكنها لم تكن
دمشق

لم يكن هناك مكان للأسود والأبيض و
عربات الفول .
لم تكن دمشق .

يا إلهي وددت لو استطعت أن أجلب لك
سعادات العالم بأسره لحظتها أن أحتويك
بوحشية أم عاقر تنتظر مولودها الأول .

باغتَ نظراتي الحزينة وقال لي بلحن
فرنسي الرنين :
-تؤبريني !
-هه ؟ وما هذه ؟؟

ضحكت وضحكت كما لم أرك من قبل ،
هذه المرة الأولى التي يسعدني فيها غبائي .

-تعني أن تحفري لي قبري و تضعيني فيه ،
شكلٌ من أشكال الغزل .

-من يتغزل بالموت ؟ حقاً أنك غريب
أتقصد أن هذه الكلمة تعني شخصاً دون
غيره .

-كيف ؟

-يكون لهذا الشخص مكانةٌ مهمة لديك ؟

-أحب روح شارلوك هولمز في داخلك ، لن
أجيب

بعض الأسئلة الأفضل أن تبقى دون إجابات

.

كم خفت يوماً من عبارتك ، عبارتك التي
اعتادت أن تختم جميع أحداث حياتي ، ليتني
لم أعرف الجواب يوماً .

الفصل الثاني

| أحبك بمقدار الأحاديث التي لم تشتعل بيننا قط .
أحبك بدرجة الشرارة بين عينيك و عيني
ومسافة الطريق .

أحبك بمقدار المسافات التي تُعلنُ لي أَنَّكَ لست لي
، وأنت بكل نبوة تخلق معجزات بين يدي .
أحبك بحرارة فساتيني كلها .
أحبك كحبك لدمشق وياسمينها .
أحبك وأعلم أن الطريق إلى قلبك مخيف .
وأخافك

أخافك كخوف فيروز يوم قالت " شو بخاف دق
عليك وما لاقيك " .

لكن أتريد الصراحة !؟

أنتَ الأساسي و أريدك في الأساس .
سلامًا لعينيك يوم أعلنت لحواسي أن هناك شيئًا
يستحق الرؤية .
إلهي ما أدفئك |

أجعلنا الألم نبدو أكبر!؟
أم أن الحنين يوسّع شهيتنا ليحاول إشباعنا!؟
أليس مثيرًا أن كلاً منا يسير في الطريق يحمل
معه سلة من المشاعر المضطربة المتمردة .

أي أنا لست أنا اليوم!
أنا نسختها العاشقة ، والبارحة الكئيبة و غدًا ربما
المعتوهة .

لا تدري من ستصادف منها ولا أدري من أنا .
إلهي ما أغرب الإنسان .
كمشهد من مسرحية ، كلقطة واحدة ، تحتشد فيها
طاقاته .

أنقر بقدمي فيمتلء الشارع بأشباهك، ألامس السن
فيبدأ بالتدفق

باردة مياهه كالشعور البارد المجنون داخلي .
جميع الألوان جميلة ، وجميع الوجوه مألوفة .
و جميعي يحبك ، يحبك جدًا .

أبالغ في كل شيء يخصك أم أنك حقًا شخصٌ
يستحق المبالغة في كل شيء يخصه ؟
رجلٌ مثلك لا يستهوي التوست المربع يكره
الزوايا-التي على كلامك- تحشر داخلها الرواسب

رجلٌ مثلك يققز على الأحجار الملونة من
الرصيف .

رجلٌ مثلك يأتي بكميات مخيفة -لي- من الحب
والسعادة .

رجلٌ مثلك تعيش داخله مدينة بأكملها ، يستطيع
أن ينيرها لوحده.

رجلٌ مثلك فيه عنتره وقيس وروميو و جاہ
شاهان .

مثلك يبرر هرمونات مسز . ليمونت ويصنع
يومها بتفاحة حمراء طازجة .

مثلك ترى في أفلام الأبيض والأسود و الأزقة
وأبواب المدارس وياسمين الشام.

مثلك يعرفني

مثلك أتمنى لو أملك ساعةً زيادةً في يومي لأكلمه

.

ألا يستحق المجازفة في الحب؟!
صدقًا لا أبالي إن لم نفلح
في الواقع معك أريد ارتكاب العديد من الحماقات
أن أرثدي ما كرهت يومًا
أن أجرب القفز المظلي والغطس العميق .
أن أرقص الباليه بطعم السكر أمام عينيك .
أن أحاول ألف مرة ومرة لأجلك .
و أسوؤها أن أحب مسز. ليمونت ، ربما هي لم
تصادف شخصًا مثلك من قبل .

أرى فيك طفولتي وفرصة سعادتي التي لن تعاد
يومًا .

و أطرف مافي هذه الجلبة أن جوليا تهتم لحديثي
عنك ، تحتضن وسادتها وتضع طعامها جانبًا
وتنصت فقط تنصت ثم تُصلي-أراها تتمتم قبل
أن نغفوا-.

إلهي كم أحبها ! .
في مرة من المرات سألتها :

- هل سأجد من أشيخ معه ؟
- إن تحمل طباعك كلها ف أجل .
- سؤال جدي جوليا .
- لمَ نفكر دومًا في الأبدية عبير ؟
- لا أعلم ، لا أستطيع الماضي في شيء بلا
عنوان بلا مستقبل محدد
- تعبت جوليا أنت أكثر العالمين بما مررت
أنصاف الإجابات والأصدقاء والحب .
- سيكون نصف حبيب ؟
- من؟!!
- جارنا باتريك ، بربك لا تمزحي .
- وإن لم يكن ما هذه المشكلة الكبيرة؟!!
- و أضيع خمس سنين من عمري !
- حددتي مدتك بخمس سنين !!

عبير خذي نفساً عميقاً ، لا تحتاجين لأن تكوني
حكيمَةً دائماً ولا صحيحةً دائماً أنتِ إنسان في
نهاية المطاف
لن يمسك أحدهم بلطّةً ويقطع رأسك لأنك أحببت
أو كرهت أو اتخذت أي قرار سيء
المهم أن تحبي
أنتِ امرأة لا تستطيع الماضي في شيء دون حبه
الحب هو وقودك
ثم إن لم نغم بأشياء غريبة و سيئة عندما تصلين
للخمسين وتملاً وجهك التجاعيد على ماذا
ستضحكين ؟
سنكون في دار الرعاية سوياً نحتسي النبيذ
وأنا في ريعان شبابي لأنني قضيت عمري
بالضحك بعيداً عن تعقيدات الحب .
انطلقى يا فتاة
أومن بك !
-منذ متى وأنتِ بهذه المنطقية ؟ أم أنا من اعتدت
غباءك !؟

-هههه مضحكة جدًا ، أنا هكذا منذ زمن لكن لا
شيء كان يستحق
لكن قلبك ، الآن يستحق
مثلًا هذه البطاطس المقلية سأراها غدًا في أردافي
لكن من يأبه
تعيش الكروش !

كم أحب منطقتيها الغبية .
أنا اليوم فتاة الزهور
بلا قيود
طائرٌ ترك حرًا ليرى ما تبقى من العالم
أنا الآن عباد شمس
لا ترى سوى شمسك .
كم أمقت هذا الوقت من السنة إنها نهاية العام
الدراسي
أي أني لن أراك ثانية يا يزن حتى العام القادم !
أملك عنوانك في دمشق و مندليك المليء بالدموع
كم تمنيت لو التفت في نهاية الرصيف لكنت
ركضت كبطلات الأفلام لأرتمي بين ذراعيك .

قلتها لي للمرة الأولى " بحبك " بلهجتك السورية
الرطبة على قلبي ، يا لرفقتك بها .
لم أفهمها لحين عودتي للمنزل و البحث عنها ، لم
لم تقلها بالفرنسية لأعلن لك أنني أيضاً كذلك ؟
أذكر حديثنا مرةً عندما أخبرتني أنك تستسهل
قول

I love you أو j'aime

لكنّ مشاعرك الحقيقية لا تستطيع إطلاقها سوى
بلهجتك الحقيقية
عنيها يومها من كل قلبك إذا !
أذكر كنتَ تقول لجدتك ولأمك " بحبكم " ، إذا
أنا أيضاً من هذا الحب العائلي ؟
أحبك ولا أهاب شيئاً في هذه الدنيا .

عليّ الانتقال إلى " أنسي تاون " للمكوث مع
والدتي عدّة أشهر عليّ انشغل عن التفكير بك !
أف كم أكره الريف الفرنسي التجاري !
ملاحظة : أحبك !

أعتقد أن نهر لو تيو يعارض السن
في جميع زياراتي أراه متراقصًا .
يا إلهي كم يوافقني الآن .
أنا قطرة لو تيو صغيرة جدًا كالنمش في وجهك .

ماذا سأرسل إليك ؟
أشتاقك ، كلا لا تكوني سخيقة
يا إلهي ماذا إن وقعت في يد أمك أو فردٍ من
العائلة !
و ماذا في ذلك ؟ استهلال درامي للكنة الجديدة .

سأرسل إليك كلمات أغاني الست التي أهديتها
إياها عيدي الفائت عندها ستعلم أنها أنا .
كتبتُ لك بأصابع من قُبلك :

" دمشق "

١٩٩٧ / ٧ / ١٥

وقابلتك أنتَ لقيتك بتغير كل حياتي "

اخترت طابعاً عليه طفلة لتذكرك بابنتنا "لينور"
التي أمست أكبر أحلامي .
ووضعت معها منديلاً من عطري في حال تعسر
نومك .

لم أخض يوماً نقاشاً حقيقياً مع أمي
أو شعرت أنني صديقتها أو أستطيع الوثوق بها ،
على كل حال هي دوماً مشغولة بمؤسسات
المجتمع الريفى والنسويات والصوف .
لا تملك لي الوقت حتى
هذه الثلاثة شهور كالسجن لي ولها

نجتمع على مائدة العشاء والحساب يُدفع من
طاقتنا .

لا أحبّ القيام بأيّ شيء بدافع الواجب أو تأنيب
الضمير المحض .
كم أكرهك يا أنسي تاون !.

كم تضحكني نظراتها أثناء تقطيع الخضار وأنا
أستمع لأم كلثوم أو فيروز .
في مرة سألتني :

-وأنتِ من أين أتيتي بهم ؟

-صدفةً في إحدى المقاهي.

-هنا في فرنسا ! لم يشب هذا الشعر يا أنسة

لأقتنع بكلامك هذا !

- لي صديق جديد في الكلية اسمه يزن ، أسمعني

إياها مرة

- أتفهمين قولها ؟

- لا لكنني أشعر بها هكذا تسري في جسدي ،
أشعر بأهاتها تخرج من تجاويفي و اللحن شجي
جداً .

- اعتاد والدك حبّها .

- أعتذر إن سببت لكِ أيّ ذكرى سيئة .

- لا تبالي هكذا نقضي الباقي من حياتنا بعد
الأربعين ، قسماً لولا الجمعيات و خنائر اللين
وفطائر العليق لجننت ، لا أراكِ سوى مرةً في
السنة ، وكعدمها !

- لا تبدأي رجاءً .

- لمَ لا أبداً !

لجوليا حق بك ولكائتك حق بك وللجميع عدى
والدتك العجوز !

-أتعلمين أيّ لونٍ أحبّ؟!!

- هذا ليس حديثنا .

- أجيبني

- لا أعلم ، الأزرق ؟

- اسألي جوليا.

أكره مائدة الطعام المستديرة ، جميع نقاشاتها
مقيدة .

مضى أسبوعٌ كامل دون أيّ جواب منك !
أفلق ؟

أوف كم تحبين القلق يا فتاة .
استرخي
لديك عيناه الآن

أتعلم ؟

أتساءل كثيرًا قبل النوم

لِمَ نغمض أعيننا أثناء التقبيل ؟

هل أغمض موزارت عينيه حين أَلْف مقطوعاته

، أو جيرمان فرايد حين صرخ أمام أوراقه ؟

لماذا نغمض أعيننا حين ننام ، في اللحظة التي

أفكر فيك فيها

وَأدع الشمس تقبّلني

دفع محبب لقلبي كثيرًا

أو كمّا يغمض الجندي عينيه عند أول رصاصة .

لأنّ هذه الأمور تتدفق من داخلنا لندركها من
إحدى نوافذنا الخمسة الفطرية ؟

| . معرفش ازاي أنت عندك القدرة العجيبة دي
بيت!

ازاي هموم الدنيا دي كلها بتبان ضو من عينيك
ازاي بتكلمي الولاد عن الأمل والحب بنفس
الشغف كل مرة وأنت أكثر حد عوزهم دي
الوقتي وفقدهم من زمان .

ازاي عندك الجراءة دي تعيدي الشريط نفسه كل
مرة
ازاي معاكي مبحسش بالوقت إلا أمّا يعدي !

معاكي بتطلع فراشات من ايديا وعينيا وكل حنة
فوشي

وبرجع بينا لورا
وبتخيلك كده بفتان طويل أوي بتركضي
فغرفتك وأنا تحت شرفتك لممتلك سعادة الدنيا
كلها فحتت عشان أزينها بخصل شعرك
ربنزل دندلي شعرك
وأنت ترميلي شُنت من الحب

معاكي المشهد بيقف بالثانية والتكة
وبتخيلنا سوا فلكونة وكاستين شاي بلمون
والست بتقول وأنا بسر ح بعنيكي

" وقابلتك انت لقيتك بتغير كل حياتي "
معرفش ازاي حبيبتك

معرفش ازاي لاقيتك بحق وحقيق
بس أنا بجد عايز كده أحطك فمرطبان مع ملح
وميه وأسيبك لقلبي سنين طوال
معرفش هوا الايام ممكن تعدي كده من غيرك؟
هوا أصلاً هيكون في أيام في بُعدك!
وأنا طول عمري بخاف من الحب برضه!
بس لو عارف إن الخوف جميل بالشكل ده -أنا
أصلاً في البيت بيندهولي يا جان- ياه ع السنين
الي فاتت بدونك !

ياه الفراشات ابدتت تطلع من وشي
عايز الدنيا كلها تعزف معايا عشانك

عشان وجودك بس

هوا أنت حبة وحببتين!

-حدّ فرفوش أويّ-

بعيون مليئة بك. |

سأخبرك شيئاً واحداً فقط
وقعت الرسالة في يد أمي و سأمحي ما تبقى من
المشهد حفاظاً على سلامتك النفسية .

وكان الجو ينقصه توتر !

- ألم تتعلمي من غلطتي !
- ما بك وكأنه جاء وقرع باب البيت لطلب يدي
- لن يقوم بها جميعهم جنباء
- يحبني يحبني ليس كأبي جبان .
- والدك ليس جباناً وأنا أعلم منك بمثل هذه
المواقف .
- أعلم ؟ إذا أجيبني لم حصل كل شيء مذ أن كنت
في الخامسة وأنا بلا أيّ إجابات
- بعض الأسئلة الأفضل ألا نجيب عنها .
- أعذار أعذار أعذار هذا كل شيء لديك
يزن يحبني وأنا أحبه
للمرة الأولى أشعر أنني مرغوبة

محبوبة ، إن كنت فاشلةً في زواجك وحياتك لن
أكون مثلك .

صفتني ، يحق لها لم أراها تبكي هكذا منذ زمن
، بكت كطفل سلبته لعبته
ضربت نفسها ، لامتها ثم احتضنتني .

-يا أمي ليست كل أصابعك بنفس الطول .

- لكن هناك شبيه لكل اصبع في اليد الأخرى ،

ماذا إن كان كوالدك ؟

- حينها سأتدبر الموضوع لا أستطيع أن أضمن

أيّ شيء .

- بلا نستطيع إن لم نقترّب من المجهول .

- سأضيع شخصاً جميلاً بسبب الخوف !

- وما به الخوف ؟

- اخرجي من هذه الدائرة بحقك !

ثم أنت من علمني أن أبقى قويةً في وجه أيّ

مصيبةٍ كانت !

-أترين أمامك امرأة سليمة ؟

أنا مجرد بقايا يا حلوتي تعيش لأجلك ، أحقًا أبالي
بالمشاكل المحلية للمدينة ؟

أبعثر وقتي لو بقيت هنا سأجن وأموت وحيدة
أمام مذياعي كغابةٍ كاملة تسقط زهاء عود كبريت
لا خير في الرجال يا حلوتي ، لا أريد لعينيكِ
الجميلة أن تتلوث يومًا بالتراب .

لن تنسيه ، إنَّ كان الحب يغيّر الرجل
فلا أحد يعلم ما يوقده في داخل المرأة ، تصبحين
أمًا وزوجةً وصديقة
أمًا هو !

الحب كذبة ليستطيعوا النوم معنا دون نقود .
-إلهي ما أسوء منطقك ، لهذا لا تستطيعين
الخوض معي في حديث
كل ما لديك هو قوانينك وقواعدك المنزل .
-اخرجي من منزلي .

ولم أعد منذ ذلك اليوم .

أشعر أنني حرة ، حرة كطير حبيس بقي مدة
دون السماء .
كمومس تحررت أخيراً من سيطرة عرييد سكير

أنت كعرض والت ديزني عام ١٩٦١ حوّلت
حياتي من الأبيض والأسود إلى لونك.
لوني ، لوني بألوان حبك عزيزي .

أركض ليلاً نهاراً بين شوارع باريس و أتمنى لو
أستطيع اللعب بالزمن وإعلان قدوم الفصل
الدراسي الجديد لاسيما أن جوليا ليست هنا و لا
أملك سوى محبرة و حروف ، حروف تنحشر
وتتدافع خجلة لا تستطيع التعبير عنك .
تقف أمامي وتضرب على رأسها ، أعتقد أنها
تتمتم " أحقاً هذا كل ما لديك ؟ "
فشخصٌ مثلك يُرسم بيديّ فان كوخ أو يُعزف
بواسطة فيلاديف .

و أترقص أنا على أنغامه بثياب بمذاق السكر
فقط لأجلك ، ولأجلك أنت .

لا تسخر مني ، أتمنى أن أذوق المعاصي والنيبذ
من على شفاهك .

شهوة المعاصي اللذيذة
تجمع شياطين الأرض كلها في دماغي ، جميعها
تستهيك

ليست شهوة الجسد ، شهوة الخلق .

أريد أن أصيغك كما أراك

أذكر حديثك المتكرر في كل مصيبة :

-انظري في عينيّ

-لمَ ؟ سأجد فيها الحلول؟؟

-انظري فقط .

تُهت في محيط عينيك ولا أَرغب بالشط أنا

الغريقة هنا .

-لا أرى سوى نفسي بها .

- تمامًا ، سأكون مرآتك دائمًا ، ربما لن أجد
الحلول أو أن أستطيع التخفيف ، لكن سأظل
بجانبك ، لا خلفك ولا أمامك .
- بجانبك كي تسندي رأسك ذي حقول الكرز على
كتفي لأزهر .
- سأبقى هنا ، أقصد سنبقى كشجرتين معمرتين
أمام هذا التاريخ كله .
- بُصي ليًا دايمًا ، أنا عمري ما هطلعك وحشة .
- أثق ، أثق بك جيدًا ، تعلم! في السابق كان لديّ
فوبيا من الفقد
- هكذا فجأة بوم يختفي الجميع عادةً ، عدا جوليا .
- لن أهرب حتّى لو أردت .
- لهذا القدر تحبني !؟
- لا ، لكنّ " إذا أحبّ الله عبدًا ابتلاه " يا بلوتي
بنكهة السكر .
- حقير !
- لا تحدثيني كثيرًا عن جوليا .
- هه أعلم أنّك احتسيت معها القهوة منذ يومين !
- يا إلهي أنتن النساء لا تستطعن كتم شيء أبدًا .

- هرمونات يا عزيزي هرمونات ، مثلك عندما
تستفيق
كأنك من قسم مكافحة المخدرات ، وأظن أنّها من
أخبرتكَ أن تحضرني هنا .
-لا منتزه السن جميل للغاية .
- أجل أيّها المقيم هنا منذ قرابة الخمسة أشهر .
- أستسلم سيد شارلوك ، لكنّ أجل كانت مفيدة
أخبرتني أن أهرب قبل أن أتورط .
-لن تشعر بمقدار ثقتي أعلم ، لكن صدق قولي
أثق بها أضعاف ثقتي بك .
-تزوجيها إذا .
- لا! و أتركك لتأكلك الفتيات السيئات يا إلهي ما
حسن الضيافة هذا .

و غرقنا في السن سوياً وسبحنا كسمكتين لا
تعرفان شيئاً سوى العوم .
و تمازجنا كحانوتين من المشروبات .
ولمستني ، أول لمسة ، ما زالت تحرقني إلى
الآن .

أعتقد أن الإنسان في أصله ولد ليبقى وحيداً ،
فكّر معي ألم تولد وحيداً ؟
وتواجه وحيداً وتتحمل أيضاً ؟!
ربما نحن مجرد محطات في حياة بعضنا لنتزود
بشيء ما .
بعضها قاسٍ والبعض الآخر لطيف مثلك .
لكّك لست عبئاً كي أحملك .

/ باريس

٢٤/٩/١٩٩٧

اليوم استثنائي !

أنا مريضة بالزكام الفصلي ومع ذلك سعيدة !

صَبَّحت على جرتي كارلا وأنا سعيدة !

سقط دلوٌ من المياه على رأسي ، لا بأس ربما

أعتقد أنني زهرة أيضاً ، وأنا سعيدة !

دفعت الإيجار وفاتورة المغسلة التي في طرف

الشارع ، وسعيدة!

أمي فخورة بي ، أعلم ذلك تسأل جوليا بين الفترة

والأخرى-رغم عدم محبتها لجوليا-لكن أمي لا

تضع "التحقت ابنتي بجامعة سوربون " مقابل "

أوه ، استطاعت المضي في حياتها" في مجالس

النسوية خاصتها ، وسعيدة !

أصلحت مكياجي وانتظم نومي ، سعيدة!

سأرى جوليا اليوم بعد غياب أربعة أشهر

يا إلهي كم الأحاديث التي أملكها .
وجهي مشدود وضحكتي عالية ، حرة ، جميلة ،
تشبه ياسمينك .
لأجلك .

ملاحظة : لم تكتب لي قط ! و استمعت إلى
الأطلال ، أحقًا أم كلثوم بشرية !؟
أعطني حرיתי وتعال إلى هنا ، إلى جانب
سريري .

لم تعد وسائدي تتسع للمزيد من الأحلام .
أحبك ، وأشتاقك وأحسد من يراك الآن .
اضحك عند قراءة هذه الرسالة ، سأشعر بها .
لا تكتب لي ، تعال !

المحبّة . ع. م /

جوليا:

-سيأتي قريباً ؟

- لا أعلم ، ما بالك أنت ؟ تحاليل وتغذية جيدة ،
لم أرى هذا الكَم من الخضار لديك مذ ..
لا لم أراه في حياتي .
- تحاليل روتينية لخوف أمي ، أنت بخير هكذا ؟
تحبينه ؟

- جوج ، كنت أخاف الأشياء جميعها .
العناكب ، السحرة ، الليل ، الحب ، أشباح أسفل
السريير ووو
أمّا الآن لا أهاب شيئاً معه .
لكن لم يكتب لي أبداً أبداً خلال سفره .
-على الأغلب مشغول ، تريدين الكريمة في
كعكتك ؟

- كعكة الليمون والزعر البري ؟

- أها كما تحبينها .

- إن كان سافلاً وهرب الحقيه واقتليه .

- forget !

تسمعين شيئاً ؟
-جداً ، أتوق جداً
جوليا إن افترقنا يوماً وصدفةً أمام قدرٍ أحرق في
وسط الشارع التقينا
ضعي بعض الموسيقى وعانقيني
عرفينا عن بعضنا بالموسيقى .
-دراما كوين ، حسناً أجل ، j'ai besoin de
جيدة .

I need you, like a tree needs rain
I need you like a man needs to
forget his pain
I need you like a night needs the
daylight
And I am unable to do anything
I am completely stuck on you
I need you forever

I need you, in order to know how
wonderful is night
I need you in order to know who I
am
I need you in order to know how
short is time
And I am unable to do anything
I am completely stuck on you
I need you forever

وأقول لك بلحن فرنسي حزين كما قال خوليو .

حسنًا شكرًا لله ، كعكة الليمون وغباء جوليا .
لَمْ أرى هذا الكم من البريد لديها قط ، أرغب
القدر يومها بوضعي أمام الحقيقة ؟
اسمك يترأس جميع العناوين يلطخ جميع
الصفحات وتوقيعك يؤكد جريمتك
وأنا البلهاء ، سمكتك الذهبية التي ماتت اختناقًا
وغيظًا .

الكثير من الرسائل !
أخبرني أنك ضيّعت العنوان وهي كعادتها نسيت
إيصالها لي .
لا تخوني جوليا لا تخوني .
كعطائي اللامحدود اسحب كل شيء واذهب ولا
أعود .

رجاءً لا تكن مثله ، لا تكن أبي .

خمسة عشر يومًا وتعود الحياة الجامعية ، سنرى
سنرى يا يزن

أرجو أن يخيب ظني أن يكذب حدسي ، أرجوك
يا الله .
ليتها لم تكن ليلة تحقيق الأمناني .

الفصل الثالث

| تأتي الآن؟

بعدها امتلأت الرفوف بالغبار و بدأت الشمس
بالمغيب .

تأتي الآن؟

و الدمع بلل الحنين ، والشوق مات منتحراً أسفل
السريـر .

تأتي الآن؟

و قد تعلمت القسوة و تبنيتُ الوحدة وهدمت
قصري الرملي .

تأتي الآن؟

بعد أن خلعت خوذتي وكسرت رمحي ، وحرقت
مدني وأسواري .

تأتي الآن؟

و الخدوش تملأ حبالي الصوتية ، و صوتي لحن
حزين .

تأتي الآن؟

بعدها حولت ياء اليأس فاءً وقطعت بها حبال
الوصال ، و اتضح أنها عروقي .

تأتي الآن؟

وجميع الأحياء عنا غريبة ، و صورنا دُهِست
ورأيتهَا تبكي على ذكرانا .
تأتي الآن؟

وجميع الطرق إليك موحلة
طريق نسيانك ، هجرك ، وصالك ، حتى بكائك .
تأتي الآن؟

وأنا تعلمت إحكام مشاعري و حبسها في مكان
أنت وحدك تستطيع الولوج إليه .
تأتي الآن؟

بعدها أنهكت الأبجدية بولادتك ، و جفّت الأحبار
و كُسرت الأقلام .
تأتي الآن؟

وأنا تعلمت الرحيل
و حفظت سجل زيارة الآلام ، وأمسيّت تضحك
ضحكاً صفراء .
تأتي الآن؟

وأنا قطعت الشعرة الرفيعة بين الوجود و
اللاوجود ، و غدوت تحصيلاً حاصلًا لأي زمان
ومكان . |

طاولة مستديرة ، جوليا الماضي وأنا الحاضر
وأنت المستقبل .
كم يعتلي الخجل وجوهكم ، تتشابك أصابعها في
خصل شعرها ، يتعرق كثيراً ويقطع أواخر
الحروف في الكلمات .
و الذنب هو الضيف المهذب لهذه الجلسة .
لا عليكِ جوليا فقط أريد أن أضع رأسك في
صحن السباغيتي .
وأنت يزن ! عزيزي لن تتألم ، نخزة واحدة ثم لا
شيء لا شيء .
وتتوحد جميع الأجوبة بابتسامة .
اليوم السن سعيد ويغدق بقوة ، يا لحظك! على
الأقل تعلم أن هناك مصباً في آخر الطريق .
أمّا أنا أتموج في هذا المحيط وكل الوجوه حولي
مماهة والنوايا مزيفة .
بدأت تمطر ، أعتقد أن السماء تبكي عليّ .
أريد شبك أيدينا معاً ، جسراً صغيراً ليتلاقى قلبينا
.

جوليا !

صديقتي الوحيدة ! ألم تجد غيرها ؟ فنيت فتيات
الكون في نظرك ؟!
وأنت !

تكذبين عليّ لأجل رجل ! رجل !
أنتِ يا من كرهتي الرجال دومًا .
متحاذقٌ ساذج ، ببزة سوداء ، الله ما أجملك .
تضع رأسي بين راحتك وتطالع عينيّ لتحفظها ،
وددت البكاء
أحسست أنني سدٌّ فجّر ولا مجال فيه للوقوف .

-أتيت لك بهدية

-ياسمين ؟!

- لا ليس موسم الياسمين ، لاتضحكي إنه من
جدتي قطرميز أو كمان نقول برطمان ، أكلة
اسمها " مكدوس " .
- ما هو ؟ سحر ؟!

-hhh , very funny !

لا تسخري من تراثي ، لا هذه عربون شكر

-على؟!!

-تخلصينها مني ، ملوا جميعاً منك ومن أخبارك
وتفاصيلك

وهذا مرسال حب تحت شعار " أقبلك كنة لي " .
-(بيني وبين نفسي) لا تؤذني أكثر .
وأكمل :

حقاً ؟ أود رؤيتها بحق .
-سيأتي يوم يا سكرتي .

وهذا الياسمين الذي كنت تعقده خلسة البارحة ؟
ستهديه لي وتطمئن قلبي أليس كذلك ؟!
ما أروعك ، أقسم أن المرايا لم ترَ بجمالك ،
هرمون يعبث بي ويجعلني أصرخ كالمهبولة ،
غبية !

اليوم الحفلة ، ارتدي لك الفستان الأصفر الذي
أهديتني إياه ؟
أم أم ، لا !
الأصفر ، اللون الأصفر ، يا أنا !

أنا لحنٌ حزين ، أطلقتني بأناملك .

توشوشني وتضع في جيبني ورقة و أطيرو وأحلق
بين النجوم .

" إلى صاحبة الفستان الأصفر ، الأصفر ، يا أنا .
عرفت أنك ستلبسينه ، يبدو الحب جميلاً عليك
اليوم "

تعال نتراقص على خيطٍ معاً كأننا فوق الجمر ،
بهذه القسوة والجمال .

والآن ؟ إلى متى سأنتظر طوق الياسمين !
ستهديني اليوم جزءاً من ذاكرتك وكيانك ،
ستهديني دمشق وطفولتك لأضعها حول عنقي .

شكراً لله ، للكعب العالي ، لغباء جوليا .
وأنا أراه يسقط من جيبها ، تباطئ الوقت ، لم
أسمع شيئاً

تشويش ، تشويش كامل ، كأن أحدهم أخذ جهاز
التحكم بحياتي ووضعها على قناة لا شيء فيها
سوى السواد والبياض وضرب برأسي الجهاز .
وتهت .
تهت دون رجوع .

تنتظر المزيد من الألم؟!
انظر في مرآتك .

أخلق المفتاح المعنى للباب ؟
والمياه للشيطان ؟
وأنتَ لي ؟

كثيرة هي الرسائل التي تصطف أمام عتبات
البيوت ، مطراً ، بردًا وثلجًا .
تلتمس ردودنا التي تأتي على طهي بطيء .
بطيء كاشتعال مشاعرك ، ردودك وأحلامك .

كثيرةٌ هي رسائلك جوليا ، أمّا يزن يراقب المنزل
من الشارع المقابل ينتظر إطفائي للأضواء ،
ليغادر بكل هدوء
دون أي ضجيج ، تاركًا ضجتي للسجائر و
الأفكار .

أقصى عدو للإنسان هي ذاته فعلاً .
يستحضرني قول مقاتل ألماني ، حسنًا لم أسمعه
كان صوت المدافع عاليًا .
حسنًا أنا هذه الأصوات وأنت الألماني ، وفتات
كلامك لم يصلني يومًا .

أكلم والدتي ؟ ستقتل نفسها .
أكلم جوليا ؟ ستقتلني .
دعوني لموتي الداخلي الوديع .

أحسب أنك فرقد ، وفقدت بعدك حاسة البصر .

بلغتك ، بحروفك التي تفهمها جيداً " تفيد في إيه
يا ندم ؟ "

لن أنتظر أي جواب ، فجميع المشانق عُلفت .
أتخيل جوليا بالروب الحريري البيج وأنت ببذتك
الأنيقة ، ثلاثة أكواب من latte

كعادتكم بمزيد من القشدة والسكر ، تَبًّا!

وجب أن أوّمن أنها إشارات القدر.

تنهزمان أمامي و تعلنان لي غرامياتكما .

كم من الرسائل أرسلت لك ؟

طبعت أحمر شفاهها على الأوراق؟؟

أهي من شغلتك عن مراسلتي ؟

أنا الغبية ، حَببتك بها وحببتُها بك .

ولسخرية القدر كلام أمي صحيح ، الشخص
الوحيد الذي لم أتوقع يوماً أن أصدق كلامه أو
أراه ذو نظرة صحية .

تكلمت من ألم .

الألم !

مركنا الأساسي في هذه الرحل
سبعة أيام دون أي رسالة منك أو منها ، سبعة
أيام وأنا عالقة أمام المذيع بين جدران منزلي ،
أشعر بالإختناق وأنتَ وحدك من فرغ منزلي من
الهواء ورأيتني أتخبط أمام النافذة ، بصرخةٍ
مخنوقة ، بنهاية درامية لإحدى المسرحيات .
لا يكثرث لأمري سوى ساعي البريد ، بحثاً عن
البقشيش .

كلنا نهتم لأمر بعضنا البعض ، مع اختلاف
الأسباب .

نتأرجح من أقصى الحب إلى أقصى الملل .
أتمنى لو كنتُ قندساً برياً في نهر المسيسيبي
يعمر سده الضعيف أمام إعصارك .

نملةٌ صغيرةٌ تعترض مسيرها لملك وهي تغاوي
اصبعك .

في الليلة الأولى
مِنْ فَصْلِ أَصَابِعِنَا وَتَمْزِيقِ أَحْلَامِنَا ..
أَقْنَعْتُ نَفْسِي بِأَنَّيْ أَمْتَلِكُ قَدْرَةَ سَحْرِيَّةٍ وَبَنِيْتُ
حِصْنَاً مَنِيْعاً مِّنَ الْقَوَى الْأَنَا .

في الليلة الثانية
تَتَاوَلْتُ الْحُبَّ كَوَجِبَةٍ دَسْمَةٍ وَنَهَمْتُ كُلَّ مَا فِي
الطَّبَقِ حَدَّ النِّسْيَانِ .

في الليلة الخامسة
شَعَرْتُ بِمَا يُشْبِهُ أَلَمَ الْأَسْنَانِ لَكُنْ فِي جَوْفِي .
وَسَمَعْتُ صَوْتَ قَطْرَاتِ مَاءٍ تَسْقُطُ فِي أَعْمَاقِ بئرٍ
دَاخِلِي .

في الليلة السابعة
اسْتَسَلَمْتُ لِلْحَيْنِ ..
وَوَجَدْتُ نَفْسِي مَعَ مَجْمُوعَةِ عُلْبٍ مِّنْ تَفَاصِيْلِكَ وَ
ضِحْكَاتِكَ الْمُزِيْفَةِ لَا أَرَى عَلَيْهَا تَارِيخَ انْتِهَاءِ
لِلصَّلَاحِيَةِ .

وأعتقدُ أنَّها ليستُ صالحةً للاستعمالِ الليلي !

في الليلةِ الحادية عشرَ مِنَ الفُراقِ والثالثةِ مِنَ
الحُبِّ ..

رأيتُ صوركَ على حائطِ أحلامي .
تَباً لكَ .. تزدادُ جمالاً بعدَ الفُراقِ !

في الأسبوعِ الرابعِ ..

أتعلمُ يا عَزيزي ..

لا يُخيفُ شَيْءٌ في هَذِهِ الدنْيا .. يقدرُ امرأَةٌ عَقَدَتْ
زِمَامَ الْأُمُورِ واتخذتُ قَرَارَهَا .

بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ رُبَّمَا أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ بعلاقتينِ عابرتينِ

..

جلستُ وأصدقائي ...

اليأسُ، الغيرةُ، الشُّكُّ، الحنينُ والقلقُ .. وأتى الحُزنُ
مُرْتدياً بِزَةِ أُنَيْقَةٍ عَلَيْهَا وَرَدَةَ أَهْدِيْتَنِي إِيَّاهَا يَوْمًا .
يَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ صُوراً لَكَ

أخبرني الحُزن أَنَّكَ وجدتِ نِصفه الضائع "الحُب"
 وأنتِ سَعِيد الآن .

وأردفَ أيضاً : " لا تقلقُ ، سيأتي الاضطرابُ بعد
 قليل .

أعتقد أنه حان وقت الرحيل ، دون أي تبرير .

الفصل الرابع

أيقنت اليوم - للحقيقة كنت موقنةً منذ البداية ،
لكننا نعلق دوماً الأمور التي
نريدها أمام أعيننا - بعد أن ضغطت حقيبيتي
السوداء بقوة كي تتسع لملابسي- أنني كنت
مثلها وربما ما زلت ، مليئةً بخطوات لأشخاص
تأهين أو عابري سرير (اسمحي لي أحلام) ، و
ضحكات مباغطة تنير درب تعاستي الخاص ،
تَبَّتْ نظري للسقف الذي سأهجر مياهه المنهمرة
بغزارة كل يوم ماطر ، أنهيت حزم حقيبيتي - لن
أكذب - ليست الأخيرة حسب ما شعرت ، أعتقد
. أنها البداية ، البداية فحسب لسلسلة تنقلاتي
استطعت التخلص من الكثير من الإيمانات البالية
، لكنني ما زلت أو من بهجران الأماكن لتغيير
الذات

عليّ اليوم أدرك ، أن العيب فيّ ، وليس الأماكن

و أن الألزهايمر ، ليس سوى وسيلة لتخفيف
الضغط عن جمجمة سُحقت آلاف المرات
أيقنت أنه يمكن المساومة بين العائلة والنفس
الأمانة بالسوء ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة
ستخسر ها يوماً أمام الحياة
أيقنت أنني سالي ، سالي في داخلي
و جميع رسائلي لصاحب الظل الطويل ، كانت
إبر صمت طويلة الأمد
أيقنت أنني غداً لن انتظر
لن انتظر
ندمك
سأنتظر أن أموت مترفةً
وستكون أعظم همومي الفيمينست
وربما سأموت أمام مذياعي ، لكنني لن أخاف
يومها
لأنني لن أكون مجرد رقم
بل سأكون فاصلة ، فاصلة تتيح لم بقي أن يُكمل
..

ارسل لك حبي أيها البعيد عني مقدار وطن
. وياسمينتين .

أمس انتهينا فلا كنا ولا كان ، يا صاحب الوعد
خلي الوعد
نسيانا

يفيد الاعتذار من الزجاج المكسور بعد كسره ؟
العصفور بعد قطع جناحه ؟
طاف النعاس ، فاهداً الآن
. اهدئ وسلّم نفسك للذكريات
. كان الوداع ابتسامة مبلة بالدمع
ولا أمتك ما أودعك به سوى المنديل المليء
بالكحل ، الكحل الذي لو امتك لساناً لأبلغك أحراً
. كلماتي

أكره أن يبقى المرء دون مناقشة أخيرة ، يتجرد
من تفاصيله ، يدافع عن نفسه و فقط نفسه أمام
. حبه ، قدره ، أحلامه وعينيك
يا رحلة في مدى النسيان موجعةً
ما كان أغنى الهوى عنها وأغنانا ؟

وما بها روما؟
مدينة أخرى جميلة كباريس ، عدا أنها لا تحمل
. غرورها ورائحتك
أي الأماكن التي لا تحتويك ستكون خير اختيارٍ
. لي
" وفي النداء الأخير " الرحلة الأخيرة إلى روما
سألتني قاطعة التذاكر التي أعارتني ماء مرتين
لانقطاع أنفاسي من البكاء
" متأكدة أنك بخير للسفر ؟ "
نظرت لها بحمق وددت لو " لا لست أقوى على
النهوض من السرير حتى ، لكن هذا أفضل حل ،
" أفضل حل لي
لكنني تنهدت و بلباقة فرنسية قلت :
" Oui , merci a ton gestion"
وزفرت
تلك الزفرة الملتهبة التي نطلقها أثناء الولادة أو
الانتهاء من أعمال البناء الشاقة تلك التي تعلن
" إنها النهاية " .

لي صديقة قديمة في إحدى أحياء روما ، سأوي
لديها لبعض الوقت ريثما أرتب ما تبقى منك لي
وما لم يتبقّ مني لدي

لست نادمة ، وعدت نفسي ألا أندم المضحك أنه
في أثناء حرصي ألا أكون كوالدتي ، أصبحت
. والدي

أهرب و أختفي فجأة عند انتهاء المشهد واسدال
الستار ، أحمل حذائي و ألوذ بالفرار خلسةً ، في
. الجو الغائم والمشمس أركض والرياح تدفعني
. استمررت طوال حياتي في الهرب
من أسئلتي ، أمي، مسز. ليمونت ، جوليا والآن
. أنت يزن

. لأن لدي من القوة ما لا يكفي أمام عينيك
.و الرياح عصفت بما فيه الكفاية ، لأطير
لأطير بعيدًا عن قلبك وتنهار المدن التي باسمك
. داخلي

من يدري إلى أين ستأخذنا هذه الرياح وما ستبقي
مني

استقبلتني " أولجا " بترحيب حار ، كطبطبة غير
معلن عنها عن كوارث باريس
ما أجمل الأشخاص الذين يبقون على ذات الوتيرة
من الحب والشوق رغم المسافات ، أذكر أننا
تبادلنا حديثاً أو ثلاثة عن جميع المشاكل التي
تدور حولنا

الجلوس مع شخص ملّم بتفاصيل الحياة أمر
مشوق ، لم أنظر إلى ساعتى يوماً ونحن جالستان

نتناقش ونتذمر وتحتد آرائنا و نترامى باللوم ، ثم
ينتهي كل شيء أمام طبق البطاطس المقلية .
ونلوم أنفسنا في الصباح التالي على دهون
الأرداف .

أولجا :

-لا أقصد التطفل ، لكن هل هربتِي؟!!

أنا : مِن ؟

أولجا : حصص مسز. ليمونت، يا إلهي كرهت

الكلية بسببها ، ما زالت حية ؟

أنا : للأسف هربت قبل أن أريها بالرصااص

-أتمنى لك إقامة طيبة عبير ، تستحقين الأفضل

من كل شيء ، الرب يسوع يمتحننا في جميع

تفاصيل حياتنا ثم يعيد ترتيبها .

= بوركتِ يا راهبتي .

- راهبة وأربع أطفال !

= صحيح لمَ لم تتزوجي إلى الآن؟!!

-من سيرغب بامرأة متدينة ؟ لا والأنكى أرملة

بأربعة ملائكة

بداية حياة مبشرة صراحة .

= معك حق ، أجري له فحوصاً دماغية قبلاً .

-دعكِ علاجِي النفسي يسير بشكل رائع والمقهى

لذيذ هناك العديد من الناس اللطفاء ، كل سبت

نجتمع ونعزف ونغني ، تذكرين نشازي

سأعرفك على الجميع ولكِ عندي جقل عربي
أسمر سيسحبك من بين ذراعي وتطيرين في لمح
البصر .

= لدي حساسية من العرب .

-واو ! هناك العديد من التغييرات ، لنا قهوة مساءً
الآن يجب علي العودة إلى العمل ، أولجا المديرية
تغضب بسرعة من أولجا البدينة .
عاملي البيت كأنه ملكك لكن لا تغيري به شيء ،
تفقد الأماكن رونقها بالتغيير .

= أجل ، تفقد رونقها .

فقد هذا المكان رونقه مذ أتت بك أفكارى ، جميع
النسوة داخلي

يحببن أشياءك من طريقة كلامك وصولاً
لأسلوبك في احتضان كأس الشراب برقصة من
أصابعك ، جميعهن يشاهدنك - لأنك كحلم أصبح
واقعاً- أو كالبيت .

لو كنت هنا

وددت بدقيقة واحدة لأتمنى أنك ذات الشخص
الذي اعتدت معرفته .
الذي يشبه فيلمًا يطلق فينا فراشات .
أو أغنية تسافر بنا بعيدًا لنلمس الشمس - دون
احتراق- .
أخاف مواجهة مخاوفي - لأن لا أحد أخبرني أنك
ستكون في مقدمتها - .
لكنك تظل كفيلم أو أغنية لي ، لكن لا تنتهي بخير

هذه آخر ليلة لنا سوياً
تماماً قبل أن ألاحظ شارة الختام للفيلم ، تماماً
كما كنا حالمين ، سأترك قلبي على الباب و
احتضن روما .
وابتداً العلاج النفسي .
أنت مجرد فيلم
سأحضر غيرك .
قبّلي .

أولجا :

والآن عبير ؟

-لا شيء ، ليس هناك "الآن" ، نحن نتقاطع مع
الماضي والمستقبل .

= يجب أن أعرفك للأخوية في الكنيسة ، يقولون
لي " كُفّي عن التفلسف "

حين تتكلمين سيضربون رأسهم بعرض الجدار .
لا أقصدك ماذا تريدين الآن ، أخبريني لِمَ أتيتي
فجأة ؟

= هروب ، تعرّفت على شاب يدعى يزن أمسك
بيده مطرقة وهدم قصري حجراً حجراً - تناولت
سيجارة- و ..

-لا تدخني أمام الأطفال .

= بالله عليك ، انظري حولك بين جميع السيئات
التي بين أيدينا تخافين أن يدخنوا ! وسعي
مداركك !!

-جميع الكوارث حولنا من صنع الله ليختبر
معادتنا .

= وأنا تنك صدى مهترئ لا يقاوم هذه الكمية من
الأمطار
-أكملي

=تذكرين جوليا ؟

اكتشفت بالصدفة أمرًا يتعلق بهما ، فهربت
هربت بما تبقى مني قبل أن أحطم مرةً أخرى .
-لحظة ، ألسنت متأكدة بما بينهما ؟

= أولجا فوتي مقطع الهروب ؟ أم أنك صماء ؟!
-لمَ لم تواجهي ؟ ربما هناك سوء فهم

= أولجا أهداها طوق الياسمين ، أهداها ذاكرته .
-الياسمين في كل مكان يا بلهاء ! هو مجرد طوق
= مجرد طوق !

ليقف الحديث هنا ، سئمت سئمت قلة الفهم .
-حسنًا ، أنت متعبة أفهم ذلك وأقدره جيدًا ،
تجربين طبيبي ؟

= طبيب العلاج البيطري ؟!
-لا حزينة وواعية ! النفسي ، اذهبي جلسة أو
اثنتان

إن لم يعجبك لا تذهبي مجددًا .

= أجل سأجرب وأحضر سلة كبيرة من الأدوية
لأبقى طوال اليوم مخدرة تهذي ويتضحك
أولادك عليّ .

-جربي عبير ، لا ضير في التجربة .

= الضير الوحيد فقدانك لذاتك

-كيف ؟

= في كل محاولة ، في كل مرة أضع كل إيماني
وطاقتي وأضع نفسي على طاولة القمار الغبية
وفي كل مرة أخسر ، أخسر وتتحطم كل الكؤوس
على رأسي ، وأرى نفسي معلقة في الهواء دون
حبال وأشعر بالدوار ، ولا أقوى على مساعدة
نفسي .

-هذا خطأك ، لا توجهي إيمانك لغير الله !

= أنتِ الآن انتهيتي من العلاج ؟!

-أظن .

= خسارة ، أهدرتي نقودك .

ربما لدى أولجا حق ، أمنت بك لحد كبير وهذا
كفر ربما ، لذا أبعدك الله عني .

أتعلقت بوالدي أيضاً فابتعد؟!
أم أنني ملعونة
وغداً ستتركني أمي وتمضي وأبكي كرضيع
وسط الظلام ، تغطي أصواته عربة القمامة .
كغزال يركض من ذئب .
كجندي يسد الباب الذي يفصله عن عدوه .
كقيثارة تداعب الألحان .
كسرير يهتز لإعلان بؤس آخر .

أنا منهكة .
عندما غادرت ، أصبحت مريضة
مريضة بالكامل
أودعت في باريس الحب والموت والعطر
والأغاني .
لا تختلف روما كثيراً عن باريس .
كلاهما شاعريتين جداً ، تشعر كأنك ترغب في
الصياح بأعلى ما لديك " أنا لست وحيداً " وهي
تقف في آخر الزقاق تفهقه وتدخن كمومس شقراء
بثياب سافرة وتضحك عليك كثيراً.

وأنت تعود إلى الطابور مع صوتك ، ليوقع عليه
بالرفض مرةً أخرى .

ليتني علمت أنها المرة الأخيرة التي سأمسك يديك
فيها ، لكنك كسرت قلبي نصفين ، أسد بالأول
ثقب الباب كي لا ترعبنا عيونهم .
وبالآخر سأحميك .
أو أعطيته لغريب ليرميه خلف الشمس كي لا
يرى أي أحد ندبك عليه .

لن أحب مجددًا .
لا أريد لشفاه غيرك أن تنطقني .
لذاكرة أخرى أن تطبعني .

أردتك

أنت

وأنت فقط

أن أتلقى بين ذراعيك كقطة شريفة وأنت
تداعب صوفيتي القرمزية وتشعل النار بيننا

وتعلوني نظرة تطالعك وأنت تنقض علي
ملامي ، لتضحك وتضع نور الشمس عليّ .
لا أريد أن أضيع لحظة منها معك .

أستطيع إعطاء شخص آخر نسخة أفضل مني؟!
أم سأكتفي بالمقبرة علي وسادتي ؟
دكتور جوزيف ، أنا قادمة
وأحمل العديد من القصص الشيقة .

الفصل الخامس

ارتجف منذ ثلاثة أيام أمام بياض هذه الأوراق
كلها مهيبة لنهم قصتنا وتعليق حبال إعدامك
تراكمت الذكريات والوعود وفتافيت الحب داخل
قلبي

هذا عداءً عن أوجه حبك .
بدأ المكان بالتعفن فكان عليّ أن افتح أبواب هذا
المكان

لأعلن الحياة له مرة أخرى
أردتها أن تقاسمني نوبات الألم المتكررة التي
تدق باب راسي في وقت متأخر دون احترامٍ
لسكان هذا الحي.

أن تقاسمني ما يعتلي قلبي
لا يمكن لقلب بكل هذا الكم من الأشياء والدموع
واسوداد الماضي ان يبقى وحده داخل قفص
مستنداً الى عدد من العظام.

مصيره الانفجار
حسناً عزيزي ،

أ تزال صالحة لي !؟
أم انك اصبحت عزيز أوجاع غيري ؟؟
ألم تعدني أن تبقى في السراء و الضراء
انا في الضراء الآن
فأين أنت مما يحدث ؟
أ تكتفي بالحضور ليلاً !
عندما تتناقل خطاي ويحملني ظلي الى أطراف
سريري
محملةً بالويسكي وبقايا أحلامٍ لم يكتب لها الولادة
عندما اترك الباب نصف مفتوحاً في دعوة غير
معلن عنها للدخول
خلسةً .
إننا نفضل ارتكاب الجرائم دائماً في الخفاء
كالمعاصي .
لأنها توظف فينا تلك الرغبة واللذة العميقة في
فعلها سرّاً لوحدنا دون أن تلاحقنا الأعين .
مازلت أراك على تلك الأريكة
تلوح بيدك عند دخولي

وتطلب الطعام الصيني
وتطبع شفاهك على بقع من جسدي
ما زالت تحرقني إلى الآن
ما زال جانبك من السرير
مزعجاً فوضوياً مليئاً بك كما في السابق
ينتظرك بكثير من البرود
وانا بكثير من الشوق .
ما تزال ورودك في بيتي
راققتها سلة المهملات بجانب حمامي
تهيأ لي المشهد المناسب لاتمام مهماتي هناك .
ما زالت أعود كل ليلة سبت للسباغيتي والورد
الابيض
أهكذا تنتقم؟!
تحجز لي موعداً مسبقاً مع الذاكرة كل فترة
أتناول فيها فتات ما تبقى من قوة أمامها
وهي تجالسنني بكل هدوء .
وأسمح لنفسني أن أضيع
ان اغوص بك
بكل ما يجري هنا

ان اعلق إشارات الاستفهام في رأسي
كل تلك الأسئلة التي ظلت معلقة دون إجابات
كافية.

أنت أكرم من أعطى جراحاً.
جراحاً لا يمكن الشفاء منها ودون توجيهات
للاستخدام

جراحاً تبقى ندوباً أسفل العين او بين حبال
الصوت وتخرج في المناسبات المزدهمة امام
حشد من الجمهور الذين يحشرون انفسهم بين
طيات الذاكرة

خف مني يا رجل !
إني الآن امتلك ورقاً لقتلك
وانت حتى لا تملك عطري
خَفْ .

أنا لست امرأة عادية
أنا بقايا امرأة |

اليوم الأول (قهوة مرة) :

-د. جوزيف : صباح الخير عبير .
=صباح و خير في جملة واحدة ، سأكتفي بصباح

-إذاً كما قالت أولجا ستكونين صعبة المنال .
=أعلم أنك هنا لتتحت في أساس هذه الشخصية
الهزلة وتجد التمثال الروماني العتيق داخلها .
-حسنًا ، مرتاحة لنبدأ؟

=لن أرفع هوروسًا ، هيا .
-إذاً استرخي على الأريكة التي إلى جانبك
وابدأي الكلام أو أوجه لك الأسئلة ؟
=وجه لي ، على الأقل هذه المرة ستوجه لي
الأسئلة لا الرصاص .

-سأطلب منك أن تتوقفي عن هذه العدوانية في
الإجابات ، أنا صديقك هنا لنجد حلاً معًا ونغتنم
ما تبقى من حياتك .
تستطيعين ؟

=سأحاول .

-كيف حالك اليوم!؟

=لا بأس ، استيقظت على بكاء "تانيا" ابنة أولجا ، نظرت في المرأة فكتبت لي أولجا بقلب حمرة جاف " لا تحتاجين مرآة ، قمر " ، ابتسمت منذ مدة لم يفعل أي شخص لي شيئاً جميلاً ، مشيت أصابعي فوق علاقات الملابس مرة اثنتان وأنا اتصفح سجلات ذاكرتي ، توقفت وتساءلت " إلى أين ستذهبين ؟ " ، هنا أنت لا تعرفين الأزقة ولا الحدائق أنت نكرة تماماً ، طبعت أولجا قبلة على جبهتي وصلت كثيراً لي بيوم -حافل- بالسعادة ، أشفق عليها سيكون استيقاظها أصعب مني .
ثم توجهت إليك ، لا أعلم كل شيء بالأسود والأبيض ، باهت .

ثم هناك مجموعة من الأطفال يلعبون بالكرة فركض أحدهم سريعاً نحوي-نحو الكرة- فصليت في نفسي "صبني ، صبني " لكنّه أمال قدميه مسافة إنشين ربما

فوقع وكسر أنفه ، ربما هذه السعادة التي دعت
بها أولجا ، لم تكن أنا من كُسر أنفها .
-ما رأيك بما حصل مع الطفل ؟
=ذكرني بنفسي ، ثم تعجبت كيف لخطأ صغير
بمقدار إنشين أن يسلبك شيئاً ؟
أو يغير فيك ، يُحملك ندبةً لبقية حياتك ، ثم
رفعت رأسي إلى السماء ورأيت وجه يزن بين
الغيوم ، وتذكرت مسافة الإنشين بيننا ، أما الخطأ
ها هو أمامك ، مُدّمي
دون ذراعين وصوت ، مجرد إكس كبيرة لا
تستطيع تحديد قيمتها .
-ألم تفكري بمساعدته ؟!
= اندفعت في البداية ، ثم فكرت عليه أن يتعلم
النهوض بمفرده ، أن يكون جيشاً بمفرده
لا يمكن الوثوق بنوايا الأشخاص حولنا .
-لِمَ ؟ ألا ترينه حكماً مسبقاً شديداً ؟!
= ربما ، لكن من سيدفع عني حمل أفكاره ؟
أعتقد أن المرء ليس بحد ذاته تلك اللحظة التي
هو بها أمامك .

-وضحي لي أكثر .

= نحن عصائد ومخبوزات من الماضي
والحاضر مع رشّة من تفكيرنا بالمستقبل
بعضنا يبقى طرياً فترميهِ الحياة في مكب القمامة
، والقسم الأكبر ينال قدرًا كبيرًا من
التحميص-المصاعب- فترميهِ أيضًا ، والقلة
القليلة تكون مثالية و حوافها مقرمشة ، فينهمها
البشر ويتخلصون منهم بشكل آخر .
أنت سعيد ؟

-ربما.

= أترى ، أنت الآن لا تعلم ربما غدًا حين يأتي
لك طفل أو ترى فراشة في منتزه
سترى نفسك منتشيًا من الفرح ، وقِس على ذلك .
-تحبين الطبخ ؟

= جدًا !

أحب فكرة أنني أصنع بيدي ما أريد .

-ما أكثر شيء يخيفك عبير ؟

= لا تضحك ، السرير

أخافها ، تبدأ هناك حياتك وهناك تنتهي ، يتشبع
بك في المرض ويهتز في أكثر لياليك حميمية .
يسلمون أنفسهم عليه بدافع الشهوة المحضة ،
ويتهامسون بضحكات عن لياليهم.
لم أملك سريراً يوماً لا اختبئ فيه من وحوش الليل
، ظل هاجساً لي في الطفولة.
-لا تخافين الرب ؟ أجيبني بكل صراحة لست
أعطي أي حكم أخلاقي .
= لا يهمني حكمك ، أخافه
هو سلبني يزن وجوليا وأمي وحياتي في باريس
، لكن في نفس الوقت بينما أجلس بين المروج
أُحرق في الغيوم المسافرة-منفصلة- نحو الضوء
الحارق .
أ مصيرنا السفر وحيدين نحو الحريق الأوحـد ؟
كما ولدنا وحيدين.
-كيف كانت طفولتك ؟
= لم تكن مثالية تماماً ، كان لدينا منزل صغير
في إحدى قرى الريف الفرنسي

من الطين مع سقف حديدي يسرب الماء ،
والجرذان في كل مكان .
بين الأسرى ، في القدور ، فوق أحلامي .
كنت اسمعها تنتش لعبتي الصوفية فأضع الغطاء
فوق رأسي و أنشبت به جيداً
حتى الصباح كي لا تقربني واستيقظ لأجد
صعوبة في تحريك أصابعي المتخشبة .
ثم في إحدى حملات التلقيح ، أخذت أول ابرة لي
في حياتي و من بعدها عانيت سكر الأطفال ،
وأمي تلوم نفسها دائماً ، وكان ..
-أخبريني .
= لا أريد تعبت ، يمكنني المغادرة ؟
-في أي وقت تشائين .

اليوم الثالث (رماد روح) :
= صباح الخير دكتور .
- أهلاً عبير ، ما هذه الضحكة العريضة .
= حاكت لي أولجا ثوباً من الصوف القرمزي
رغم تعب أصابعها ، عنى لي الكثير .
- جاهزة ؟
= عندي خيار ؟
- لديك طماطم
= ...
- كانت مزحة .
= آه ! ليست مضحكة
- حسناً الضحك لا يعني أنك في مزاج متقبّل
= أها فالإنسان ؟
- مزيج لحظات لا لحظة .
= والآن من فينا الدكتور ؟
عم تريد أن أخبرك الآن ؟!
- الطفولة ؟

= تمرنت جيّدًا البارحة و وعدت نفسي ألا أبكي .
-عبير أطلقى العنان لمشاعرك لا تكتمي أيًا منها
= أخاف .

-ممّ؟!

= منك ، من الجميع

قالت لي جوليا افتحي قلبك ، فسحقته بخلاط
كهربائي 220V و خلطته مع قهوتها و سكبته
فوق قبوري

يزن أعلن الحروب أمام نُدبي ، فحول المساحة
الوحيدة التي بلا نُدب إلى مقبرة كاملة بأسرها
أمي ملكة التائبين

والآن أنت ستفهم؟!

-ربما لن أفهم ، لكن سأستمع .

= توقفت عند بيتنا القديم ، كان لنا عم اسمه
"كيفن" وكان أقصد أنه حرق.

-حرق!

=بعد أن أحرقنا ، كنا نجتمع مساءً في منزل
جدتي

يجلسون جميعهم حول المائدة ، وأنا كنت طبقه
الأشهى- ما أسفل تنورتي القرميدية- في مرة
سقطت مني ملعقتي الصغيرة كحجم أمانى ، نزلت
لألتقطها
ومن يومها لم انهض .
-أكملي

= يضع يديه دائماً على أردافي الصغيرة -التي
كانت بحجم راحة يده يومها- ويمسدها بقذارة لا
توصف ، كنت أحاول الهروب لكن لا أقوى أمام
حدّة عينيه
أتعلم !؟

نشعر بالخطر دوماً فنهرب ، يومها شعرت
وظللت أركض داخلي من محطة انطلاق لمحطة
انطلاق أخرى دون أي توقف ، وأشعر أنني قذرة
قذرة للغاية
أحتاج حماماً مغلياً لأغير جلدي ، حاولت إخبار
أمي بالأمر عدّة مرات

لطالما اعتبرت كلامي هدس طفلة ساذجة ، إلى
أن دخلت مرة ووجدته يقبلني في إحدى زوايا
البيت الضيقة
وأنا أبكي بصراخ مكتوم ، سقط كيس البقالة
واندهشت كأحدى اللوحات الزيتية لكوخ وسارت
بأقدام ثابتة نحو المطبخ .
وهنا بطلتي الوحيدة لم تفعل أي شيء واستسلمت
، انكساري بها كان أصعب من فعلته .
-كيف أحرق ؟

= في إحدى ليالي ديسمبر الباردة كان نائماً على
الأريكة بثيابه الرثة وزجاجة الشراب ، كنت
أضفر شعري في غرفتي ونزلت الأسفل لأنفق
أمي .

فوجدته نائماً وعرفت أن الوقت حان لوجبه وأنه
نهم للحمي الآن ، بحثت عن أمي ولم أجدها
فتحت باب البيت وركضت وركضت بين
الأشجار في الغابة
وقعت وتدحرجت وخذشت بالأغصان وبكيت ،
بكيت بأقوى ما أستطيع

ثم توقفت أمام بيت جوليا
ودفنت عبير الصغيرة خارجًا-نبت فوقها فيما بعد
زهرة نرجس-ومكثت الليلة عندها.
كانت أول مرة أرغب فيها بالخلاص منه ، أي
شيء سيكون أفضل منه.
في اليوم التالي عدت إلى البيت ، ووجدته غبارًا
وقطعًا من الخشب المحروق
وجثته هامدة في المنتصف ، بوضعيته اللزجة
ضحكت كما أضحك عند فتح هدايا عيد الميلاد
وبكيت حين أدركت أنني احترقت مع هذا الحريق

ثم طالعت السماء وقلت " إنها عدالتك يا الله "
-لم تشعلي فيه النار أليس كذلك؟!
= مريضة نفسية أجل ، قاتلة لا .
-لم تواجهي والدتك بعد الحريق ؟
= ظللنا صامنتين كعادتنا ، نتحاشى التحاور في
أي شيء قد يؤدي إلى هذه القنبلة الموقوتة ،
كلتانا تعرف أننا ندور حول ذات النقطة لكننا لا
نقوى تحويلها لنقطة نهاية .

لكن في إحدى المرات أعطيت رأيي بأمر مماثل
، فأجابت باقتضاب :

" تحدث هذه الأمور في جميع الأماكن ، لا
نستطيع إحداث جلبّة في كل مرة يسرق فيها فأرُ
جبنتنا "

كانت تعلم ، تعلم شديد العلم ولم تحرك ساكنة .
وأنا في داخلي ضجيج الضحايا بين القبور .

اليوم الرابع (لتسقط الأقنعة) :

-كيف كانت علاقتك مع المحيط القريب ؟
= عادية ، أفضل علاقاتي كانت مع جدتي
المصرية "نسبية" كانت تلبس قطفاناً مغربياً
وتضع عطرًا من الياسمين وخشب الصندل ،
أتابع تفاصيل شرايينها البارزة على يديها وأتأمل
تجاعيد وجهها ، في تلك اللحظة تمنيت أن أشيخ
فوراً

لأمتلك حكمتها وسلطتها ، في أي جلسة تطرق
عصاها بالأرض وتقول كلمتها بصوت حازم ،
كقرار القضاة في المحاكم ، أما معي تصبح طفلةً
صغيرة.

كان بيتها من الحجر الأسود يخرج منه شيء من
الورود البنفسجية و الأعشاب
أقف أمامها وأقول " كيف خرجت من لب
الصخرة القاسية ؟ "

فتجيب جدتي " إنه الله يا حلوتي ، في داخلك هنا
هذا الصوت ، إنه الله " .

-عبير ، ستخرج الورود منك يوماً .

= الحدائق مليئة ، احضر ما تريد منها

دكتور ، لا أرى أي جدوى من العلاج على

العكس في كل مرة أتذكر شيئاً

أعود إلى المنزل مثقلةً بالدموع ، لا أستطيع

الحديث أمام أولجا

لديها أمل ، لمحتة في عينيها وهذا شيء لا نجده

كل يوم

لا أريد قتلها ، لكنني تحولت إلى كتلة دموع .

-حسناً عبير ، شاركيني أي شيء اليوم

= سأعقد معك اتفاقاً ، من اليوم فصاعداً لن

تتاديني باسمي ، عندما كنا في مصر

كنت استغل ملامحي الغربية لاستغبي السياح

والعامة ، مرة بكما و مرة معتوهة وفي إحدى

المرات تسولت لاشتري لوح شوكولا مليء

بالبنديق ، كنت اضحك على غبائهم ، الآن !

أفهمهم ، وثقوا بالملامح والكلمة

أمنع السجون والأسوار هي الكلمات ، تبني شيئاً
خفياً لا تستطيع فهمه ولا التخلص منه ، الجميع
حولك لكنك وحيد ، عائم على وجه الماء بين
الصخور

و بقايا الخطوات على الرمال .

استطيع خلق شخصية في روما ، جديدة
هنا أنا بلا هوية

بلا ماضي

بلا علاقات

أستطيع أن أكون امرأة مزاجية اسمها مارثا
وأرتدي الغوامق ومكياج سيدة عتيده.

أو امرأة سافرة اسمها كارلا ترتدي ما يحلو لها
وتراقص الشبان على أطراف خصرها .
أريد خلق أنا جديدة .

-رائع بل أكثر من رائع !

بطلة الأيام القادمة ، لا تدعي الماضي يبتز
حاضرك ويدمر مستقبلك

أرى أمامي طفلة بجداول شقراء تلهو بالقش وإبر
الحيابة

اطلقي العنان لنفسك ، أمامك الحياة
لن تعطيكِ فرصة النهوض ، عليك حفر نفق
لتسبقها بخطوة

اليوم

قفي أمام المرأة وصرحي لنفسك " أنا مهمة ، أنا
استحق الحب ، لا علاقة لي بمشاكل الماضي "
= أيوه ، الماضي ده كلام فاضي .
-تعلمين ، عندما تتمتمين بالعربية أتمنى أنك لا
تشتمينني.

= لا إنها عادة قديمة ، أحادث الجن.
-الجن!

= لم الاستغراب ، أصدق قولي أفضل من البشر
بمراحل.

-والآن ، من أصدقاء الطفولة .

= كان لي صديق اسمه " كرم " ، مفعم بالحياة ،
صدقًا تسير في عروقه الحياة لا الدم ، يسبح في
نافورة الحي ويلقي النكات والصباحات على
العجائز ، كان يسرق الكروسان الساخن من
الفرن لنختبئ تحت شجرة العليق و نأكله بشراهة

ذات يوم في احتفال الأعياد ، جلسنا سويةً نراقب
الألعاب النارية

امسك يدي و قال بصوت خجول " بيروشكا ،
أشعر بسرعة كبيرة في قلبي ، خائف " ، فقلت "
يا غبي اسمه الحب " ، قال " لا نوبة قلبية الجد
ماركوس قال هكذا قبل وفاته" ، بعد حديث
سطحي عن معنى الحب ، وجد أنه أحبني
فطبع على جبيني قبلة واتفقنا أنها ميثاقنا للزواج
في الكبر .

-ثم؟!-

= سافرنا إلى مصر قرابة السنة والنصف ، ثم
عدنا

كنت ارسم له كل شيء أراه كأنه معي ولا أبالغ
في سؤال أمني عن حالهم-حدسها مخيف-عدت ،
لكن لم يبقَ أي شيء على حاله.
غادر البلدة بعد اتهام والدته بالفحشاء وضربه
الرجل حتى أدماه ، وغاب كرم وغابت معه
بيروشكا ذات الفستان النيلي .

-بيروشكا؟-

= إنها قصة قديمة لأميرة تعيد الأرواح التائهة
للحياة ، كان يراني ملاك الطاقة -بقوله-
عندما نصلي يزداد وهج الشموع ، وتمتلئ
الكنائس بالراهبات المباركات لنا .
-وهو ما اسمه السري بينكما؟! =
= لا شيء ، كان يرفض أي اسم مختصر له
في مرة نظر في عينيّ وهو يدخن القشة كالتبغ "
بيروشكا ، هوية المرء اسمه "
اسمي معي يا كرم
لكني بلا هوية .

اليوم السابع (كل شظية من البلور تعكس
الضوء بمقدار طاقتها) :

-اخبرتني جدتي أن أرواحنا تغدو في السماء
نجوماً تضيء دربنا ، وتوجهنا لغايتنا وربما
تحمينا

وددت أن أكون ساحرة ، احمي من حولي و
امتلك السيطرة على كل ما حولي
لكنني الآن حفة من الكوارث والشوارع المكتظة
، أنفاسي مليئة بالتبغ ورائحة الجثث داخلي .
= عندما نقوم بتنظيف البيت ما أول شيء نفعله
!؟

-نخليه من الساكنين
= و نفتح النوافذ ، افتحي نوافذ قلبك دعي الشمس
تكويه دعي الهواء ينعشك دعي الحياة تكتشف
طريقها إليك ، سيدتي لا يمكن مساعدة امرئ لا
يريد مساعدة نفسه .

-في معظم الأوقات أتساءل كيف يحملني هيكلي
العظمي ، في الداخل مجموعة من الموظفين

والملفات والأفكار والاستراتيجيات ، وفي الجانب
المقابل قبيلة من النسوة ، المتدينة والسافرة
والملحدة والعاقلة والراشدة ، كلهن بربريات
يتصارخون و يتراشقون وأنا بينهم
أضيع
أطير
وأسقط

ويهدم كل شيء فوقى
فاستيقظ على صوت المنبه لإعلان تعاسة أخرى

=حسناً ، تعي نأخذ الأمر من جهة أخرى ، ما
معنى الخير ؟

-أن يكون مسرّاً لقلبك هنيئاً على أيامك .
= خطأ ، الخير يكمن في نواة الشر ، كما تكمن
البذرة في الثمرة والحقيقة في الكذب ، إن
أخبرتني أنّك شمس فكلنا حولك عدم ، نحن وما
حولنا ما نريد تصديقه
أصعب عدو للنفس هي أفكاره ومبادئه ، التي-في
اعتقاده-لا يجب أن تتغير.

ما علمتك هذه السنين ؟

-أن أبقى ، بمعنى أن أهزم بمعركة أو مئة ، أن
أخسر يدًا أو عينًا.

لكن أكمل ، حتّى الحرب
لانتصر

= كلّ يوم هو بداية جديدة لنا بعيدًا عن كل

روابط البارحة ، باختيارنا نجعل مشاعرنا هكذا
و قراراتنا هكذا .

اجعلي كل يوم تاريخًا يستحق الذكر .

قفي أمام مرآتك واصرخي أنا مليئة بالثقوب لكنها
ثقوب ليعبر النور .

أنا الحقيقة ، أنا القوة ، أنا هي أنا

و أتقبل الخسارة والترك والفقد لأنني بشر

و أتقبل الحب بأوسع أحضاني .

أنتِ مميزة وقادرة .

-جدتي لطالما آمنت بي ، وضعت يديها المليئة

بالحنة وعصرت خدائي وهمست

" أنتِ مميزة وجميلة ، لا ذنب لكِ في كل شيء "

= تمامًا ، نحن لا نستطيع حماية من نحب ، نحن
نستطيع حبهم بكل بساطة
لن يغير "ترك عشر خطوات بيننا وبين
الأشخاص أو الأشياء" من شيء
على العكس سيحررنا متعة ما بين يدينا .
ثمَّ

عليكِ بالأشياء الغبية ، عندما تطعنين في السن
ولا يتبقى من أسنانك شيء
تشيبيين لتصبحين قادرة على قول أي شيء أي
شيء كأنه حكمة

تخلعين ثيابك وترتدين همومك
وتضحكين على عثرات الماضي .
-أتمنى لو عكست حياتنا ، بدأنا بالشيخوخة ثم
المراهقة وتعلمنا من أخطائنا ووجدنا أن مذاق
الحياة حلو

حلو بالفطرة لا كأغراء للمصيدة
ثمَّ انتهينا كجنين في عالمه الخاص ، قواعده
الخاصة

نخلد إلى نوم عميق

ثم لا شيء

لا شيء .

= سأطلب منك بعض الوظائف؟

-وظيفة؟

=أها ؛ عليك جعل خمسة أشخاص بيتسمون ، و

مراسلة أمك لإخبارها عن حالك

وأنت بخير وستعودين باريس بأجنحة تحمل ندوباً

تفتخر بها .

-مستحيل .

= عليك السير نحو المجهول ، لا بأس في

المغامرة يوماً .

تعلمين ؟

كانت إحدى حالاتي لشاب أحب شابة بلهجتكم "

للسما " ، بعد فترة عرف أنها على علاقة مع

والده .

تدمر وكسّر ولعن وانحرق وهمد .

ثمّ قال في يوم

أنا أستحق الأفضل

الحياة لن تقف
لن تبكي عليّ ، مثلي مثل الكثير ، ستكمل فوقي
وتعلمني كيف احفر نفقاً لاسبقها.
والآن
هو أمامك يخرق قوانينه ويفصح عن حياته
الشخصية
لأريك أن هناك أمل
تحتاجين من يمسك يديك فقط
أجنحتك لا تخمد
انظري إنها تنبت الآن .

الفصل السادس

| لفتنك يوماً كراهية النار للجدال ؟
لا تحاول فهم من أشعلها أو ماهيته ، تأكله و
تترك آثارها كاملة الملامح .
لا يوجد أسباب
دوماً دونما أسباب
لا تحتاج الحياة أسباباً لاستهلال النهايات .
يأتي متوهجاً مسرعاً مفاجئاً كالحريق مجرد
استهلالٍ درامي للرماد .
كلّ شيء على حاله ، الدموع في الأحداق ،
والمهدئات تحظى بنوم لطيف في جيبي .
و الاحتياجات تنده في الطوابير المزدحمة ، بكِ ،
بي، بهم -بنا- وال " نا " لم تعد يوماً لنا .

رُبما

نختلف أنا وأنت في مسمّى يومٍ جيد .
لكن الآن ،
لم أعد صنبور ماءٍ يسرب المياه ويذكرنا
بالصمت .

أحرقته مدينةً كاملةً من الاكتئاب ،
لم يسأل لعابي أمام الجثث الهامدة !
وددت مرتين-أكذب- أن أتصل برقم مجهول
أخبره أنني على حافة النافذة وأسقط.
و يضرب اسمه عناوين الجرائد ، محظوظ وجد
آخر نبأ مني قبل طيراني.
قتلت عنكبوتًا .
نظفت الجرامافون .
ارتديت ملابسني .
و هاتفت مسافرًا بعيدًا لن يقوى على فهم نبراتي
" أنا بخير أجل وأنت ؟ "
وكتبت على الجدران-عكس ما وبختني أمي يومًا
- " من رحل لم ولن يحبك " |

عزيزي الله .

أغفر لي "عزيزي"

لكن الحق يقال لم يبقَ سواك عزيزي ولا أحد
يستحقها سواك .

في الأربعاء الماضي ، بكيتك كثيراً و نظفت بما
تبقى من دمعي آثار انفجارنا .

جففت الورود و طحنتها و خلطتها ببراز قطة
أولغا .

عقدت صفقة مع الذنب و هدأت الحزن ،
و شربت نخباً مع أرواحنا .
اليوم ،

أنا حرة ، و غير مضطرة لأنّ ارتدي أيّ قناع
تعجّبي الهالات والتجاعيد و قلة النوم ، وأقف
أمام المرأة صباحاً بشعر منكوش و أقبل المرأة
وأصرخ كم أنت جميلة ، فتسارع ليزي بالبكاء
لتعلن تأييدها لي و أسارع لاسكاتها قبل أن تفتح
أولغا عينيها و تخرج زئير الوحش .
اليوم ،

جلبت البقالة و حملتها بأذرع قوية حتّى أنني لم
أتعرق ، خلعت الأحذية القديمة التي نقرت بها في
طرق باريس و ارتديت كعبًا عاليًا ، أناظر الشمس
و أخبرها " أشيخ بنظري عندما أرغب أنا بذلك "

اليوم ،

المقهى يدر عليّ الأموال قمنا بالعديد من
الإصلاحات و الآن الناس يتهافتون يوميًا ،
يسمعون موسيقانا ليلة السبت و الجمعة يخلعون
همومهم على الموائد و يضحكون ملء بطونهم
من نكت أولغا .

اليوم ،

أولغا سعيدة مني على الأقل جعلت أحدهم لا يندم
على المراهنة بي .
أشعلت شمعًا ، و أنا أسفة و نادمة أشد الندم أنني لم
أشارك بقداس من قبل .
ساعدت أولغا في الأطفال ، نظفت الشواية و
أقمت وليمة للأصدقاء .
اليوم ،

تذكرتهم ولم أبك ، تمنيت لهم حياةً مثاليةً هناك
بعيداً عني حيث تفصلني مئات الأميال عنهم ،
تمنيت أن يكون لهم بيتٌ عامرٌ بالحب والدفء .
تمنيت الكثير و الكثير من الفتيات لجوليا - أعلم
حبها لهم- و تمنيت لو سمّوا إحداهن " شام"
لتجبر يزن على الإتزان .

اليوم ،
أرجوك يا الله وثق حبال الدعوات المربوطة بين
السماء و الأرض .

اليوم ،
لا تهملني لا تنساني ليس لي غيرك ، يا شمس
المساكين .

روما ٣/٣/٢٠٠٠

مسز. ليمونت ، أكره صراحتي
لكن لم أتوقع أن أكتب لك يوماً !
كيف حالك ؟ أعذر لم يتسن لي الوقت للكتابة مذ
غادرت ، أعلم أنني رميت بثقل الأشياء كلها عليكِ
و هربت ، لكن الآن أنا صلبة بما فيه الكفاية
لأرى جميع الوجوه بلا ذاكرة تتربص بي وتحمل
سكيناً حاداً .
أرجو أن تكوني بخير ، أن يكون الجميع بخير .
هذا عنواني الدائم حالياً ، كما أخبرتك أسكن مع
أولغا .
شكراً لكِ جزيلاً على تحملي ، دمتي بخير .

الناجية الوحيدة .
عبير محمد .

أتمايل إلى غرفة المعيشة و أترقص على أنغام
موسيقى إسبانيا ، لا أفهم منها شيئاً سوى أنها
تحب الحياة .

الموسيقى أعظم اللغات ، تضرب أولغا بيدها
على رأسها وتضحك و تصرخ " عودي مكتئبة "
فأتمتم بالمصرية كي لا تفهم وتظن أنها شتيمة
وهي كذلك .

أفتح أبواب الشرفة وأحتضن ضوء الشمس و
أصرخ أنا حية

و املاً رنتي بالهواء البارد ، أتأمل الشوارع -إنها
لا تشبه باريس- و أعشقها وأعلن انتصاراً آخر .
فيصرخ جارنا مصلح الأحذية " ادخلي يا مجنونة
" و يومئ بيده كرعاة البقر في الجنوب المكسيكي

وتسحبني أولغا من يدي و تضحك ، و اراقصها
و نرقص و نرقص إلى أن نتعب
وتشطب هدفاً من أهدافي على باب البراد و
نزمجر .

و نسلم نفسنا للوسائد المنتفخة .
أولغا: أقسم أنني لم أرى هذا الجنون من أطفالي ،
يا إلهي ظهري يؤلمني.

عبير : جدتي لا تموتي اليوم ، اليوم سنعيش و
فقط سنعيش

فلينتظر الموت فأنا قررت أن أعيش
-لا تخاطبي الموت بهذه اللهجة ، سامحها يا الله
لا تعي ما تقول .

= بلى أعي و الرب يتقبل كلام محبيه كيفها كان
، الأخرس كيف يتكلم والأعمى ؟
بالإشارة و نعرف و يعرف ويعرف الرب المعنى
، كيف تنده الحيوانات ؟

يسمعنا و يعينا من الداخل و يرى ظلامنا فيرينا
أن النور من الداخل .

-الحقير جلسات علاجك أنت بنتائج على عكسي !
= ليست علاجًا يا جميلتي ، إنها كيف أقولها بلغة
تشرحها بحق !

إنها " رغي " أيّ ثرثرة بلا جدوى في البداية
لكنها أهم محادثات حياتك في النهاية.

تتململ أولغا و تحرك مكعب السكر في الطبق
البعيد و تتأفف .

عبير : ما بالك ؟

أولغا : خائفة من سفرك وتركي وحيدة .

= لن أسافر إن كان كل شيء في باريس جيداً
وهذا نادراً ما نجده ، لا تفكري

فلنعش اللحظة و دعي دموع الغد للغد .

-المسألة اعتدنا وجودك هنا ، مين سيحمل عني
ليزلي و يضع لي الكمادات الباردة و يخبرني كل
يوم أن الحياة خارجاً تحتوي أشياء كثيرة غير
الحفاضات و الصريخ ، أنا كنت في حاجة إليك
أكثر منك .

أعدتي لي الأمل ، مفهوم الأمل كاملاً بكمية كبيرة
، تحوّلت من شخص يفتح عينيه ليتأكد أنه مات
وليس مسؤولاً عن أي شيء لشخصٍ يحمد الله في
كل يوم على النفس .

= في رحلتنا للشفاء نشفي جميع من حولنا ، الله
ساعدنا لنبدأ من جديد
أعطانا الحب أعظم هدية لتكوين الحياة .
-أكره نسختك الأفلاطونية .
= وأنا أحبك بكل حالاتك .
-تأخرنا على العمل سأذهب ، الحقي بي.
= سأضع الرسالة في مكتب البريد و أتى فوراً .
-لا تتأخري رجاءً .
= إن وقع في طريقي مصيبة شقراء بعضلات و
أزرار مفتوحة ، سامحيني
-لا تتكلمي أمام الأطفال ، يا إلهي تقع أخلاقك
أسرع من الفواكه الموسمية .
= هيا أيتها المرأة المستقلة حان موعد يومٍ آخر
من الجد .
-لا أندم سوى ع مجهود فتح عيني لرؤية أشكال
تسد النفس .

أفضل نهايات اليوم ،
كؤوس تفرع و ذكريات تفيض و القليل من
الدهشة .
أحبك روما .

باريس ٨/٣/٢٠٠

يا إلهي انتظرت أخبارك بشكل لا يصدق عقل ،
سعيدة أنك بخير
عليك أن تأتي إلى باريس هناك العديد من
الجروح المعقدة .
أرجوك تعالي في أسرع وقت .
محبتي لك و لأولغا ، كانت امرأة فعلت ما عجزنا
عنه .

مسز. ليمونت .

دائمًا تأتي صفعات الحياة بشكل مهذب كامل
الأناقة ، أمستعدةٌ لكِ يا باريس ؟
أتمنى أن تكوني مستعدةً لي !
ودعتك يا أولغا بالكثير من الدموع ، ولا أملك
منك سوى منديلٍ مليءٍ بالكحل .
سأفتقدك ، لكنني سأعود
أنتِ الآن كل أهلي .

من أتى بفكرة " أن تصل متأخرًا خيرٌ من ألا
تصل أبدًا "؟!!

ما فائدة الوصول في غير المواعيد ، كأن تهدي
أحدهم كنزاً صوفية في الصيف وهو مات بردًا
الشتاء الفائت .

الاعتذارات المتأخرة ، القبلات المتأخرة ،
النهايات المؤجلة .

كلُّها لا تفيد ، إمّا أن تأتي في موعدك أو لا تأتي
أبدًا ، فالأبواب المشرّعة تدخل الهواء و صريرها
يملاً بالرعب .

و الوحدة انتصار أمام الاجتماع الكاذب .
واليوم يا باريس أتيت في الموعد المناسب
بمقاييسي ، جاهزةٌ لتلقي وإبداء اللكمات .
هنا ،

الشوارع ليست كما تركتها ، مليئة بالإعلانات
الزاهية و الألبسة العصرية .

الجميع يتهافتون أمام الطوابير و يصرخون بملء
صوتهم أن الوضع لا يحتمل.
تعج الشوارع بالسيارات الفارهة والليالي
الموسيقية للراقصات المدمرات لعهد من مر
قبلهن .

لا أنتمي لك اليوم يا باريس ، أهكذا جزائي نتيجة
تدمير الحب يوماً .
كان مطلبي بسيطاً ، الحب ولا شيء سوى الحب

لكنك مدينةٌ تهوى الإفساد ، والآن أستطيع القول
" كش ملك " .

ما زال بناء الجامعة بارداً أبيضاً مع القليل من
الأزهار الجديدة كما صورتها تشبه الناس هنا
أشكال بلا أرواح .

غريبةٌ أنا عن أدراج هذه الأبنية ، كيف مرت
ثلاثون سنةً في سنة ونصف ؟

أم أن الألم يعيد كراً عقارب الساعات دون ملل .
عبير : صباح الخير مسز. ليمونت.

مسز. ليمونت : صباح المتاعب يا مثيرة المشاكل

= توقعت ترحيبًا أقل حفاوةً على قدومي ،
الظاهر آتي و كل المتاعب تستقبلني بغبطة .
-أسفة ، الفكرة هي أنني لم أعالج صدمة الأحداث
، اجلسي

أخبريني كيف حالك كيف كل شيء ؟
= كُلي بخير على عكسك كما يبدو ، لم أبقَ عالقةً
في تلك الساعة المشؤومة التي طرقت فيها باب
مكتبك و أخبرتك كلَّ شيء ثم انطلقت .
-لم أتوقع أن أكون الخيار الأول لك في هكذا
قرار .

= ولا أنا ، لكنك الوحيدة التي لم تتظاهر بحبي ،
كنت بوجه واحد فقط .

-يؤسفني أن هذه الصورة هي التي وصلت لك ،
مآسي الحياة صعبةٌ جدًا
أحمل الكثير معي و أقول غداً سأرتب كل شيء و
يأتي النهار و يرحل و يأتي الليل و يرحل و يُبقي
أثاره في الروح .

= ماذا سيتحمل الغد؟! كل شيء مُلقى عليه .
-لا نولد هكذا ، إنها حمولة الأيام .
= لا أتفق معك إنها حمولة اختيار اتنا السكرانة .
-عبير المعهودة .
= طبعًا ! لم أخالف أحدًا منذ مدة .
و الآن ، أعطني ما لديك .
-سأعطيك هذه الرسائل و هي ستخبرك كل شيء
، هناك العديد من الكلمات تفقد قيمتها عندما تقال
، لن أستطيع النطق .
= مِنْ مَنْ؟!
-فقيدتنا جوليا .

_ الرسالة الأولى _

٦ | ٢ | الساعة ١٢ صباحاً قبيل الجلسة
الأولى للعلاج ...

" لطالما كرهتُ المستوطنين ، لكن من كان يظن
أنّ طوال هذه السنين
هناك مُستوطنٌ صغيرٌ يكبرُ في أرض الأكسجين
خاصتي .

حسناً في البداية اعتقدتُ أنّه الاكتئاب والقلق
وضغوط الحياة ولكن كان للأطباء رأيٌ آخر .
أطلقوا عليه اسم " السرطان "
لطالما كرهتُ الكائنات البحرية ... كرهتُ البحر
.. قُلتِ لي يوماً

أنا كالبحر لا تعلمين ما بي .. ولكنني قررت
الغوص والسباحة .. أن أكون كالعاصفة الهوجاء
.. حرّكتُ كُلَّ ما فيكِ وبعدها تغيّر الطقس
وخرجت من هذه المعركة مُعلّقةً بسرطانٍ ينهش
رئتاي ...

ألم يجد سوى جسمي الهزيل الضعيف؟؟

يا له من شخصٍ مُتطفلٍ ،سرقني من العنمة
وتملكني .
أجل نسيتُ أن أخبرك
قالوا لي أنه في آخر مراحلهِ ،أردتُ أن أصبحُ أماً
لأطفالٍ وليس لورمٍ خبيثٍ .
حسناً لم يعد هناك ما أحارب لأجلهِ .
لكن تجارة الدواء مُستمرة وعلَيّ تقبّل العلاج
الكيميائي .
كان يشبه الأمر التقاط الأنفاس أثناء الغرق .
أتذكر عندما كُنت أستفزك بالكلام .
لأرى رفعة حواجبك المميزة و غضبك المُلتهب
،أكون في قمة سعادتي عندها .
و الآن أنا ورقة خريفية صفراء ، لا تقوى على
التماشي مع الهواء .
أتساءل متى سأقع ويمتصني التراب ؟
أنا الآن على سرير المُستشفى .. أكره روائح
التعقيم والنظافة الزائدة .. تُذكرني بك ،أكره
الأبيض ، يُذكرني بالكفن .

حسناً لقد فُرض على هذه العاصفة الرداء الأبيض

كم عشقت قدري عندما تلاقينا وكم حقدتُ عليه

الآن .

دُمتِ سعيدةً ..

أُحبك بقدر خييتي ..

ج "

_ الرسالة الثانية _

بعد سنةٍ ونصفٍ من العلاج .
١٤ | شُباط | لم أعد أُميّز الوقت
" حسناً لم أعد أُسرّح شعري كالمُعْتاد .
لم يبقَ سوى صلعة بيضاء أُغطيها بالقبعات
الشتوية السميقة ، ما زالت تُمطر والوقت يمضي
.

أتمنى أن تفهمي يزن و تعرفي أنّه كان يحاول
يحاول فحسب أن يساعديني ، لم أقوى على
إخبارك لم أستطع رؤيتك تموتين .
أرجوكِ عودي لنتقاتل لكي نُحارب بعضنا
بالكلام والأخذ والرد، لكي نُعلن الصراع ونتفوه
بكل الخراب الحاصل والحماقات، ولكي نغرق
بعدها في الدموع ونحنُ نعتذر .
فقط عودي .

نعجتك لم تعد تستطيع التحمل ،لم يعد لدي الكثير
من الوقت
في الواقع لم أعد أعلم ماهو الوقت .

الأيام كما هي
تمضي دونك وتُنقص من عمري 24 ساعة
أتعلمين
البارحة سقط جزءٌ من المواد الكيميائية على
السريير
لقد أذاب القُماش
أتساءل ماذا يُذيب داخلي ؟
ليتكِ كُنْتِ هُنَا
كُنْتِ حاولتِ صرفي عن التفكير بطريقتك
المُعْتادة .
جلدي أصبح أصفر اللون، بدأت الورقة في الكبر
و حان موعد الوقوع .
لم أعد أُحِبُّكِ .
جوليا "

الرسالة الثالثة

"عيد ميلادك يا صديقة أحراني .
لا أعلم ماذا أقول
لكنني أحبك بالرغم من كل الأذى الذي سببته لك

كل عام وأنا بعيدة عنك
كل عام وأنا لا أعرف شيئاً عنك
كل عام وأنت أقوى وتتخلصين من طعناتي و
طعنات يزن .
أقسم لك أن لا شيء بيننا ، وأتمنى أن نجدك قبل
أن أذهب لأخبرك أن الطوق كان معي كي لا
تريه وتفسدين المفاجأة .
كان ينوي خطبتك ليلتها .
أنا يا عبير سأؤذي قلبك ؟
كل الرسائل بيني وبينه أخبره بموتي أخبره أنني
أمامك أراك للمرة الأولى تعيشين ولا قلب لي
لسرقة فرحتك الأولى بالحياة .
لم أعد قوية على الكتابة ، نظري قدّ ضعف
، شهيتي قلت .

لم يسمحوا لي بأكل ما أرغب .
أذكركم في إحدى أعياد ميلادك أحضرت لك
كيكاً بالفراولة .
سهرنا ليلتها في المستشفى لجهلي بحساسيتك .
ضحكنا كثيراً ليلتها .
وبّختني والدتك لعدم اكرائي
بكيث ليلتها و حولنا عيدك إلى حفلة بكاءٍ ولوم .
أين أنت الآن ؟؟
بيتي مُنسخٌ وثيابي مُبعثرة ولا أقوى على مسح
الغبار .
أشتاقُ لعتابك و مشاكلك .
أذكر حديثنا عن النجوم، عندما أخبرتك أنّ
النجمة التي تُشع بقوة وتلفّت نظرك هي نجمةٌ
أرسلها أحدهم لتبقى معك، وقد كانت شاهدةً عليه
وهو يدعي لك كُلّ ليلة .
لم أعد أرى نجمتي ، توقفتي عن ذكري ؟!
أعتقد أنّ هذه هي الرسالة الأخيرة .
ربما
غداً أكون في السماء

على الأقل سأراك من الأعلى .

وداعاً

سامحيني

سأترك لك الرسائل مع مسز. ليمونت في

صندوق خشبي يحملُ بعض الذكريات وصوتك

وعطر النرجس.

جوليا "

كالطرق على الجدران أتيتي يا جوليا ، واو
باريس لا يغمض لك جفنٌ قبل أن تنتقمي !
لا خير في مدينة تسكنك ولا تُسكنكِ .

عبير : و الآن ؟

مسز. ليمونت: جوليا علمت بإصابتها أثناء
العطلة الصيفية ، لا أعلم سبب اختيارها ليزن
لإخباره لكن هذا كلُّ ما أعرفه ، عندما توفت
أخبرني يزن كلَّ شيء فعلمتُ أننا تسرعنا وبحثت
عنا حتى يزن سافر إلى روما ولم يجدك .
= أخبرتيه !

-ما بالك أنتِ؟! صديقتك توفت كان علينا
احضارك .

= هي لم تلقي بالأل ولم تحاول الشرح ثم هو يأتي
في النهاية كالبطل المغوار ويحاول حلَّ كلِّ شيء
، أكاذيب أكاذيب أكاذيب كلِّ شيء هنا أكاذيب
أخطأت وأتيت .

لم يحاولوا توضيح الأمر ولا أي شيء و الآن أنا
المذنبه مع حفنة من الرسائل .

-اهدأي ما حصل قد حصل لا يفيد إلقاء اللوم ولا التفكير ، تبقى شيء واحد
تُبْلِغُكَ جوليا أن تزورها كل فترة و أخرى ولو
استطعت زورها كل يوم كي لا تشعر بالوحدة و
احتفلي بعيد ميلادها ولا تنسيها ، قالتها بكثير من
الدموع قبل أن تفارق الحياة ، كان اسمك آخر
شيء قالته .

= و ذاك اللعين أين هو الآن ؟

-سافر قبل وفاة جوليا بفترة إلى سورية .

= تركها و هرب !

-عبير كُفي عن الألفاظ الثقيلة ، أنتِ هربتِ و هو
هرب وجوليا إذا أردتِ هربتِ بشكل أو بآخر ،
جميعكم لم تقووا ولم تفهموا الحقيقة .

= سأجده و أوسعه ضرباً .

-أجل انطلي أنتِ الأخرى في رحلتك الهمجية ،
لا تأتي بأي فعل وأنت تحت تأثير المشاعر .

إياكِ !

= أنا بخير بخير ، كلا لستُ بخير أحتاج بعض
الوقت لوحدتي .

-أنا هنا .
= كلا ، لا أحد هنا جميعنا كاذبون .

الفصل السابع

لم يكن خطأي ولا خطأك ، إنها أقدام
الأقدار
لم تكن نيران الحي ولا الحشائش ، إنه أنا
سأعلمك كيف تحب تفاصيل الأشياء ، وستدعني
. خائفة من منحنيات هذه الكلمة الودودة
سأقنعك بحب الموسيقى ، و ستلحدني بأي شيء
. أو دين لا يعيد كرّ خطواتي إليك
سأعلمك أن علينا التفكير بالمشكلة للتأكد من
. -وجودها ، و ستحرقني بأكبر غمامتي-أنت
ستصفعني ، وأرى أن من ركضت إليه ، لم
. يحاول المشي حتّى
سأعلمك كيف تنساب كالماء ، وتلبس أي إناء
يحاول حشرك ، و تعلمني فنون الإغراق وتحطيم
. الزجاج-كانت عيني- لكن لا شيء يذكر
. ستجعل عيد ميلادي باردًا
. و شموعي كثيرة لا تنطفئ

و ستكون سماء باريس مدججة بالطيور ،
والملائكة تصرخ لأنها لا تستطيع -رؤيتك- رؤية
باريس

ستدعي الجميع إلى الوليمة ، وتنساني
ليس شيئاً يذكر ، أفضل الخيار " تجاهلتنني "
رغم مروري الكثير-في أحلامي- عليك يومياً
سترميني وحيدة

سوداء

بلا هوية

و سأعلمك أن المأساة

رُبما

تحتاج شخصاً آخر فقط

و المعجزات

تحتاج شخصاً آخر فقط

و الكؤوس المليئة

تحتاج شخصاً واحداً هو أنا

و أن الحزن

عشيق ملتزم

لا يغادر دون طبع شفاهه

وأن العديد من الأجساد لا تقواها
لم يكن خطأي ولا خطأك ، كانت الإسدال المثالي
لترجيديّة الحياة النمطيّة
العديد من الجثث
و المصابيح المكسورة
والأنهار الفائضة
و الشوارع المكتظة
وأنت تعلمت إشعال المدافئ دون حرق نفسك
ونسيت أنني الخشب

الآن مَنْ مِنَ الملام؟! ولمَ أترك دون إجابات؟!
أي قدر أحقق الخطى هذا الذي يتعثر دومًا؟
استصعبت الحياة ابتسامتي؟
ليست رحلة الشفاء ولا رحلة استكشاف لعبير
جديدة، إنها رحلة التدمير الشاملة.
رحلة إعلان أنني شيطان بشري يقتلع كل من
حوله، أنا الآن المجرمة الوحيدة وكل الأصابع
المبتورة تصرخ بي.
سئمت قلة الإجابات، لا أريد جواب هذا السؤال
الآن!

لِمَ أنا يا الله! أخبرتني أولغا أنك تختبر أشد
عبيدك حبًّا لهم.

إن كان هذا الحب
فأنا لا أريده

إن كان هذا هو مغزى استيقاظي كل يوم
فأنا لا أريده

إن كانت الخسارات العنوان العريض لحياتي
فأنا لا أريدها

لا بدُّ أنَّه برومو تشويقي ، لا يمكن لحياة واحدة
أن تحمل هذا الكم من الأذى .
أؤمن أن الألم وقود الحياة ، لكن هذا انتشال
لأرحام بأجنة .
حرمانٌ لعافر من مولودها الأول .
سكب الليمون في وضح الرؤية .
إلقاء للنفس أمام القطار .
حشر الزجاج في الأفواه .
هذه ليست حياة .
تعال أيها الموت ، اليوم لم أعلن الحياة .
اليوم
ألعن الحياة وكل يوم مضيء و كل حب يهديه
الطريق .
اليوم
أنا بقايا ، مجرد أشلاء .
اليوم
لن أبكي
جفت الدموع و اقتلعت المقل و عصارة روعي
نفذت .

مسز. ليمونت: ليس عليك اللوم ، هم أخفوا كلَّ شيء لولا الصدفة لما عرفت بمرض جوليا .
عبير : أخبريني أكثر عنها .
-سرطان رئة.

= أكثر شيء تتمنيه تسلبك الحياة إياه ! لم ترغب سوى بالزواج و إنجاب الأطفال.
أنا من رغبت بكامل جرعات الحياة ، أنا من يجب أن تعاقب
-هذا أشد أنواع العقاب سوءً ، تركت وحيدة و كل التهم لك .

= أنا السبب ؟ تعتقدين أن رحيلي جعل حالتها أسوء ؟

-لا يمكن الجزم ، ثمّ الآن هي تحت التراب لن يفيد أيّ كلام عليك إكمال ما بدأته .

= بالله عليكم بعد هذه الكلمة لا يأتي أي خير ، ثمّ أي إكمال في شيء أنا نفسي لا أفهمه ، إن لم تريدي أن تكوني واضحة لِمَ تشرقين في بعض الأوقات ؟

إن لم تكوني وردية كما علمونا في المدارس ، لِمَ
تعطينا الأمل بجرعات قاتلة؟!
تعلمين؟

يضعون ملصقات التحذير على كل شيء ، كل
شيء
الشوارع ، الكيمائيات ، المحطات ، المسارح ،
المداخل .

لكن ينسون أهم خطر الحب ، يجب أن يُكتب "
احذر خطر الانفجار على قيد الحياة " .
نحن الآن على قيد الموت دون جدوى ، ننتظر
البيدق القادم في اللعبة .
-أنفهم تعاستك .

= كلا لستِ تفهمين ، ولا أحد فهم تعاسة جوليا
لا أحد يكثرث ، الحياة ستمضي من فوقك وأنت
المُلام أنك لم تنهض لتكمل سباق الأرنب و
السلحفاة .

رُبما

السلحفاة محقة ، لا شيء يستحق الركض و
الأرنب اشتهى الحياة .

ذنبه الوحيد أَنَّهُ اشتهاها .

عليّ الرحيل .

-إلى أين ؟

= لن يفيد تحديد الوجهات ، خلعت شراعي و

كسرت سفينتي

وإن غرقت لن أتمسك بقشة ، سأبتلع المياه حتىّ

أموت .

لكنّ أعرفها في هذه اللحظة ستعطيني ألف سبب

للبقاء ، لكنني لن أعود كما كنت ، سأصبح أشلاء

مملحة .

-أنا هنا .

= لا أحد هنا سوى صوت الخطوات المبتعدة ،

علينا الهرب جميعاً إلى اللامكان .

جميعنا كاذبون .

و الكذب رأس الخطايا المميتة .

سأرحل إلى الريف ، سأرى أمي و أعود إلى

روما .

لدى طبيبي الآن حفنة من النقود الجيدة قادمة .

لا تخبري أحداً أنني أتيت ، وإن سألك يزن يوماً
بالخطأ

أخبريه أنها انتحرت لخسارتك ، دعيه يتحمل
قسط الألم معي .

شكراً لك

و شكراً لثرتي التي على غير عاداتها في وقتها
المناسب أنت .

-بنيتي ، لا تأخذه كنصيحة خذيه ثرثرة عجوز
خرفة .

لن يهم أيّاً كان حالتك أو مأسيتك ، لا أحد يعلم ما
يجري خلف الكواليس و الستائر المغلقة .

الجميع يصفق للمشاهد الختامية ، لا أحد يرى
تضحيات الأبطال .

جميعكم تكرهوني و أتظاهر أنني لا أعرف ملكم
مني ، وأعود كل ليلةٍ و ابكي وحيدة بانتظار
شيء يقتل الوحدة ، موت ، جريمة، ولادة أي
شيء يشعرني بتدفق الدماء.

كنت طفلةً يعاملها الجميع كمنبوذة ، عندما أمر
يقطعون الأرصفة متجاهلين إياي ، لم يتقبلني

والداي يوماً ولا الرجل الذي تزوجته و انتهى بي
المطاف بالاغتصاب الزوجي .
لذا

اخترت أن أكون نسخة النهاية ، امرأة يكرهها
الجميع و ييزق بعد أن تمر .
في الكراهية لا مجال للشك كما الحب ، ثم أتساءل
قبل أن أنام من أنا ؟

و أضحك من فرط تعاستي و أسرح في خيالي ثم
أرهب من كثر الكذب و أنام .
هناك فرق بيني وبينك ، بيننا الآن عشرون سنةً
لا عشرون متراً

أنتِ أنا منذ زمن أذكره بالقرب المشوش و
شهوتك للحياة طازجة .

و أنا أنتِ في زمن ستعيشينه في كل ثانية ، لكنك
لن تموتي .

لا تملكين رفاهية الموت .

= ابكي إن أردتي سترتاحين .

-ليس لي قوة للبكاء ، ابكي أنت .

= لا أملك رفاهية البكاء .

و ضحكنا ضحك طفلين يحرقان أبويهما أحياءً ،
وكما قالت لا نملك أيّ رفاهية .
فالجيوب فارغةٌ وكذلك العقول .
و الأغاني خبزُ الفقراء ، فقراء الأرواح .
و حانة الأقدار لا ترحم ، نبيذها شهيّ كتوقي
للموت الليلة .
لن يأتي اليوم ، لن يأتي حين تريده كأنه يقف في
منطقةٍ دون إرسال .
لكنه يأتي على أجنحة السرعة حين تقرر أن تتعلم
الطيران .
و يقرر قلبك ألا يقايض روحك .
أنتَ فقط أردت أن تتعلم ركوب الدراجة .
وتعلم أنك لست الوحيد الذي سيندم .
لكنك تشعر أنك الوحيد الذي لا يستطيع فهم ما
يرى .
و تتمنى أن تحيا بضع ثوان لتطالع السماء لا
الأرض فقط .
لكنك تستطيع البكاء وقتها فقط .

لأنك
و بكل سخافة
تملك رفاهية الدمع حينها .
و الجميع يخافك لأنك تجرب الأشياء الغريبة
كالتذكر و النُكت و إشعال النيران ليلاً .
لكنك فقط أردت المحاولة .
لأنك
بكل سخافة
بشر .

الريف .

حيث بدأ كلُّ شيء و سينتهي ، سينتهي بي الحال
امرأة ريفية بتسريحة بيريه زوجةً لعجوز كثير
الأموال .

يتبادر إلي قول أغاثا كريستي حين انفصلت
إحدى صديقاتها بسبب الخيانة الزوجية ، تقول
شيطانة الحرف " كمن يترك بلاده بسبب الأمطار
، إنَّها تُمطر في جميع الأوطان " .
فليخن مع نقود ، أفضل من خيانة بلا نقود ،
سأبكي وأنا على يختي في شواطئ ميامي و
امسح الدموع بالنقود الشديدة الامتصاص للتعاسة

.

أمي : الآن عُدتِي ، بعد ماذا يا فتاة ؟
عبير : ماذا لدينا على العشاء ، سيأتي بعض
الرفاق .

-من يومك الأول ! من التالي على قائمتك
للتدمير؟

= سأقيم صلاةً لروح جوليا ، تمنعين؟
-هه وكان أمرك يههما .
= أنتِ أيضًا !

-الدنيا تدور و تدور و تدور إلى أن تقع على
رأسك ، أخبرتك مرارًا أن تضعي الأعدار و
تتفهمي من حولك ، والآن لا أحد سيفهمك .

= أريد الهدوء فقط أحتاج العزلة .
-سُتُعزَلين في يوم ما إلى الأبد ، لا تستعجلي
أمك مريضة وتوقعت قدومك مسرعةً لرؤية ما
تبقى لك من الورثة على الأقل .
= آسفة لم أعرف .

-وكيف تعرفين وأنتِ تتسللين من بلد إلى بلد
وتعودين تعبَةً و" أمي آه الحياة أنهكتني " ، دعيني
و شأني أموت وحيدةً بلا آلام روح .

= على الأقل فل تأتي المتاعب على دفعات .

الجو هنا في الريف خانق ، أو أن رائحة النرجس
التي تركتها جوليا تخنقني .
هكذا طريقتك في الإنتقام إذا ؟
إذا

إذا ذهبت للأسفل سأخذ الجميع معي .
الذكريات موجودة على جنباتنا تحومُ هنا و هناك
، تأتينا دومًا دونما استئذان .
و تهمس لنا بما قد يسرنا أو يقضُ مضجعنا .
كالأسرى نحن قابعين في سجونها .
كالأسرى نحن ننتظر قدوم سلة ألحانها إلينا .
ثمّ تتوقف عن زيارتنا فجأةً ، فنحتفل أنّها و أخيرًا
غادرتنا .
و الحقيقة أننا من غادر ، وهي كعادتها في الخفاء
ستستمر في العزف على أحزان غيرنا .
ستعزف لنا ولهم بكل سخاء ، غصبًا عنا وعنهم
بكل كبرياء .
ستعزف حدَّ إشباعها من آهات الآلام .

و سنبقى لحن فرنسي أجوف ، نخاف أن يشديه
الطير يوماً .

أحبُّ قدرة الريف في التخفي بمظهرٍ رتيبٍ يبعث
على الغثيان ، لكنّ على الأقل يصنع حالةً من
الوهم المريح لسكانه تحت القبعات والقلنسوات
الزاهية .

أكره بهجة الريف و تماذي سكانه بالحياة ، تنطلق
الحياة من أصابعهم وأعينهم شرارت تضيء كلّ
شيء ، أحقد على فلسفتهم البسيطة المليئة بالدهاء
وأكره نفسي كثيرًا الآن .

عبير : لم أعد احتمل .
أمي : هذا هو باب الشرفة ألقي بنفسك .
-صدقًا أنا لا أفهم أكره حالة التوهان هذه ، أحبُّ
أن يبقى معي عقلي في كلّ الأحوال .

= يا حلوة نيسان هكذا هي الحياة يا بنيتي هكذا ،
لا تعرف معنى الاستقرار و تُدْفِعُكَ غرامة
النسيان و الإدراك .

-إن كانت كلُّها عن العقاب والثواب ، الحقيقة
والخيال ، والله هو رب الخير لِمَ لم يضع إشاراتٍ
في مكان ما ، أو كتّيب إرشادات أو بكل بساطة
لا يضعنا في مسائل التخيير طالما أنه يحبنا .
= هذا سؤال لا يستطيع أيّ أحد أن يعطيك جوابٍ
له سواه .

حسنًا ، سأريك الجانب من أمك الذي أخفيته خلف
قناع المرأة القاسية هذه .
جاهزة ؟

-و بجاهزة تقصدين " جاهزة لتلقي صدمات
أخرى " أم " للموت البطيء "؟!
= كلا ، جاهزة لتحصيل جميع إجاباتك التي
رأيتها صعبة الإدراك منك فيما مضى .

عندما ترين أحد الأطفال الجميلين ، ما أول
شيء تفعلينه ؟ تقومين بشد خديه بشدة وفيك لذة
الأذية التي لطالما غمرتنا بشعور لذيد .

دعك من هذه ، الحب و الجنس ثاني ورُبما ثالث
شيء يأتي إليك بعد الحب هو مقاسمة الفراش مع
شخص كان غريبًا تمامًا
لشعور غير مفهوم وغير أكيد الصحة أصبح
يُشتهى ، والجنس ترافقه الآلام و لا نريده إلا مع
من نحب.

و حب الأم لطفلها يجعلها تتحمل آلام الولادة .
هذه طبيعتنا ، مؤلمة وتؤلم من حولنا و نشتهي
الألم .

والدك لم يهرب يا عزيزتي ، نحن من هربنا .
كان طائشًا غيبًا لا يقدر على حمل مسؤوليتنا
يومًا ، تذكرين جارتنا "ميلينا"؟! و برطمانات
المربي والعصائد الشهية؟
-أجل .

= رأيتهما معًا يتهامسان ويتلاطفان في اسطبل
الأحصنة ، يومها أحسست بمئات الشياطين في
رأسي لإطلاق عنان زناد السلاح والخلص من
بؤسه .

لكنك أنت من أعاد رشدي ، تأملت جدائك التي
لم تصل الأرض بعد و ضحكك الشقية ، و
عرفت ليلتها أن الأمر يجب أن يحسم وأردتك أن
تفخري بي لا أن يزج بي في السجن .
كان أمامي حلان ، إما أن أتحول إلى جسد بلا
روح ، أو أن نهرب .
وها نحن ذا هنا .
أنا من أحرقت العم كيفن ..
لم أستطع التحمل ، تجاهلتك عدّة مرات ثمّ كرهتُ
نفسي وتمنيتُ الموت كلّ لحظة لا أقوى فيها على
النطق ، ليلتها رأيتك تهريين وسمعتُ نحيبك الذي
أفاق فيّ غريزة البقاء ، قمت بإحراقه و رأيته
يصرخ و يطرق زجاج النافذة بكلتا يديه وأنا
ابتسم وهو ينظر إلي نظرةٍ ترجي وأمل ، وأنا
أسلبه وأستعيد كلّ شيء منه .
وضحكت ، ضحكت كما لم أضحك من قبل و
عرفت يومها أن بوّسا في الأرض انتهى
وليست كلّ الحرائق دمار ، وبعضها ولادة.

عبير ، الكونفوشيوسيون يضعون بقعة من
البياض وسط السواد والعكس صحيح.
لا تحتاجين شرحًا أكثر من ذلك ، أسفةٌ لإخفاء
الأمر عنك ، لم أَرِدُ أن تنظري لي نظرة مجرمة
أو هاربة ، كلُّما قمت به لأجل عينيك والله .
-أنا الآن فخورةٌ بك أكثر ، حاربتى كلَّ شيء
لأجل شخصٍ ظل يكسرك في كلِّ مرة وحتى الآن
استحملتي كلَّ طيشي .
= الأمومة غبية في بعض الأحيان ، لكنها أعظم
أشكال الغباء دون شك .
-واو ، وأنا اعتقدت أن مورثات فلسفتي أنت من
الكون الآخر .
= لا تستهيني بي ، وراء هذا الشعر الأبيض
الكثير من الضحايا .
بنيتي الجميع يضحى لكن بمقادير مختلفة ،
وسعي عينيك فقط .
ستجدين أنك ظالمةٌ ومظلومة في آنٍ واحد ،
جوليا رحلت لكن الحياة أمامك .

ابحثي عن يزن ، جديهِ ، حبيِّهِ ، ودعي الموت
يأتي بعد أن تعيشي ما يستحق أن يكون ختامه
عظيمًا كالموت .

-لكنَّه تخلَّى عنها ، ماذا إن تخلَّى عني ؟
= لو أراد التخلي لما ذهب إلى روما وبحث عنك
، المسكين أضاع نقوده على بلهاء مثلك .
الآن انطلقني و لا تلتفتي إلى الوراء ، ربح
الماضي قويَّةً جدًّا .

-أحبُّكِ جدًّا و خجلةٌ من كلِّ تصرفاتي الغبية .
= اعتذري لي بعودتكِ إليّ مع يزن ، فليحضر
معه المزيد من هذا المكدوس .
مشروع استثمار ناجح لكينا .

اليوم وضعت الضماد الأول ، و أول الجراح
تطيب .

الحقيقة مرّة ، كما القهوة لكنّ لذتها في ذات
المرورة .

يزن ،

استعد أنا قادمةً إليك ، أرجوك لا تكن كباريس .

استثنائي كل ما أشعر به اليوم ، لدينا إمكانية أن
نكون .

أن نولد من رحم المعاناة و ندوم .

استثنائي حبي لك اليوم ، ويقيني بحبي لك .

يجب أن نتكلم عن جميع الالتباسات ، نُشبع

بعضنا ببعض كما فعل يوماً نيكولاس

كازانتزاكشي حين خَلق لنا زوربا .

و وضعه مع الكرز في معضلة الحب المؤلم ،
فأكل وأكل حتى أفرغ ما في معدته .
عليّ أن أتجرعك إلى نهايتك ، لأرى إفراغك وإن
كنت سأتمسك بك و أطمئنك " كل شيء سيكون
بخير " .

اليوم سألقي نفسي بين ذراعيك وأخبرك أنك
مرهق ثم أعاتبك " لم استغرقت طويلاً لإخباري
" ، اليوم سنبكي حد آخر دمعة .
ثم ستنظر إلى وجعي المتمني للنهاية ، ستخبرني
أنك تحتاجني وسأرى الكدمة في صوتك .
ولن أتركك حتى النهاية .

لذا

ابك ولا تدع يدي ، يمكنك البكاء طول الوقت لن
أذهب قبل فهم كل شيء .
إلا إن كان لدمشق خطة أخرى ، تتواطأ مع
باريس في تقطعة أوصالي .
أشتاق لسماء برلين الضبابية في عينيك ، تنظر
إلي و أحترق

تعثر على الضوء داخلي الذي لم أستطع رؤيته
يوماً .

اليوم الوداع مرهق ، سأتذكرنا دائماً هكذا .
كإحدى أعظم خطايا خَلق الله ، كالناجين الوحيدين
من مجزرة الحب .

إنها تفاصيل المرء ما تؤلم .
رُبما

أقول لك " وداعاً " لكن داخلي يصرخ " ابقِ "
وأنت تأكلني بنيران عينيك
لكنك " تمشي " وأقدامك تتفادى العودة إلى
ربوعي .

نحن أصل المشكلة وحلها .
عندما تنظر إلي وكل الكون يختفي
أرى حجم كارتتنا وقلة حيلتنا للإصلاح .
لذا

رُبما ، فلنسمع الموسيقى ونرسل إشارتنا عبرها .
أنا الآن في الأعماق لن يستطيع أحدٌ أذيتي أو
التأثير عليّ سواك .

كلمة واحدة منك قد تبني قلاعاً من الحب ، أو
تجعلني كتشرنوبل .
نحن الآن بخير بعيداً عنهم .
أتساءل قبل هبوطي ، كيف ستكون سورية ؟ كما
رأيته يوماً في عينيك و أفكارك ؟ و حماسك في
الليالي الباردة و أنت تقول بلهجة سورية تُذيب
قلبي " ليك تخيلي معي هون بداية الشارع " ، و
تشرح بأدق التفاصيل الأزقة و المكاتب و المقاهي
العتيقة ، ثم تأخذ نفساً بعد نسيانك لذلك و تقول "
كنت مفكر حالي رح ضل حب بس الشام ، أتاري
أنتِ كل سورية " .
رُبما أخبرت جدتك و أمك أنني تركتك و هربت ،
وهما الآن تنتظران اللحظة المناسبة للحاق بي .
عندما التقينا أول مرة ،
حاولت أن أقنع نفسي أن لا شيء من هذا حقيقي .
وعندما افترقنا آخر مرة ،
حاولت إقناع نفسي أنك كنت من نسج خيالي
الملول .
و الآن ،

أعرف هذا الشعور ، لا أريد أن أضيع أي لحظة
ولا أريد أن أعطي أي شخص النسخة الأفضل
مني .
اليوم .

ستعود الليالي المجنونة ، خصلي الشقراء ،
سباغيتي الجبنة ، برنامجنا المشترك، شتائنا
العربية ولن أبحث عن الحب مجددًا لأنك هنا .

رائحة المكان حميمية جدًا ، تحمل معها شيئًا لا
يمكن تجاوزه أو حله من الطفولة والمراهقة
والبساطة .

جميع الوجوه ضحوة -تعلم كيفية إخفاء آلامها -
أضحك في وجه المارين بشكل عفوي وأصبت
بذات الحمى ، ياإلهي العيش هنا يجعلك إيجابيًا
بشكل مدهش .

لن أستطيع العيش هنا !

أو أن المتاعب ستأتي طائرتها غدًا .

هنا الجميع يسأل " شلونك؟! " ، أحرف في غاية
البساطة وأبلغ الفلسفات .

ما لونك ؟ لا كيف حالك ؟
أنا صفراء أيّ مريضة ، سوداء أيّ شبه ميتة ،
بلون يزن أيّ واقعة على رأسي .
هنا الشمس لطيفة تداعب تقاسيم وجهك وتطبع
عليها قبلاً لطيفة كتذكار ترحيب .
الجميع منشغلٌ نحو الأمام ، الأطفال مليئين
بالصراخ ، والعشاق تحت أشجار النارج .
هي هكذا إذا سورية يا يزن !
يحق لك أن تقع في غرامها ، هناك أماكن تجبرك
على حبها ، أن تتطبع بها .
فتصبح جزءاً منك و البعد عنها بمثابة تقسيم
الروح .
لم أتوقع يوماً أن أمشي في شوارع مشى فيها
نزار قباني ، بدوي الجبل ، أدونيس ، سليمان
عيسى ، حنا مينه ، عبد السلام العجيلي ، غادة
سمان ، ممدوح عدوان و وداد السكاكيني .
يكاد المكان ينفجر من العظمة و الجدران مليئة
بذكريات من مروا .

سورية أشبه بمسرحية عالمية كبرى ، تُرغبك بها
وتشتهيها وتسقطك مردياً بحبها .
سورية تملكين التصور المثالي لطفولتي الضائعة
و مستقبلتي المريح .
تملكين لوناً للحب ، يليق بكِ فقط بكِ .
لديهم تذوق فريد للموسيقى ، وجرأة نادرة في
إحياء الشوارع بها .
فيروز ، أسمهان ، ميادة الحناوي ، محمد عبد
الوهاب ، عبدالحليم حافظ ، ربا جمال ، أم كلثوم
، محمد عبده .
الإعلانات مشرقة كروحك داخلها ، بطريقة غير
مبتذلة تجبرك على الاستماتة في حبها .
يزن زاد تعلقي بك الآن .
فهمت لِمَ لم تستطع ترك جوليا أو إخباري ، أنتَ
بكل بساطة حنون ودافئ .
دفع هذا المكان .
وددت لو اجتمعنا في حياة سابقة ، أنت غسان
كنفاني و أنا غادة السمان .
أو أنك جبران خليل جبران وأنا مي زيادة .

تراشقنا لطخات الحب على الملاء أمام هذه
العجائب البشرية المقدسة للحب .
و تمنوا وصالنا أكثر منا .
هنا في دمشق فقط ، ترى الكنائس والجوامع
بالقرب من بعضها ، ولليهود حارة وسط هذا
التآخي الروحاني .
دمشق لونيني بألوان حبك ، اغمسيني وذوبيني
في أرسفتك ، اجعلني صدفةً في شواطئ اللاذقية
، أو شامخة كقلعة الحصن .
مزقيني و ارميني وأعيدي إحيائي هنا بين هذه
الأزقة المألوفة .
خذيني إليك وأعيدي تشكيلي ، فأنت الأحق بقلبي
ووجداني .
" زي المعجزات " ، دكتور جوزيف اليوم
استطعت خلق جناحات .
بلمسة حنونة ، بحُبٍ ممكن ، بمكان يألف الحب
ولا يُخطي عليه .

الحياة فوضوية على العموم ، امرأة أربعينية
بثياب ضيقة ، أو شاب بشعر مربوط ، عنزة
برأس فأر ، أو القط يلاحق الكلب .
تبهرك بتقلبها ، لكنها تظل اللغز الأعقد و الحل
الأبسط " الموت " .
جميعنا نقاط في هذا المحيط الذي نحن بنيناه ،
وجميعنا نحاول الهرب .
كتطورات الإنسان القديم ، نهرب من المجهول ،
من الظلام ، من نظرات الأمهات ، من عتاب
الأحباء ، من ذكريات وماضة .
لكن الإنسان لم يجد النار ليتدفأ أمام نار الموقد .
و حين تعلن المواجهة ، تعلم أنك لم تعرف عن
نفسك مقدار رأس إبرة .
ولم تسمع عن الآخرين سوى ما أرادوا منك
سماعه .
ستجد الجميع موحدًا لشيء ما -خلقه بوهمه-
يدورون حوله ، والأعين معصوبة ، و الأفواه
مخبطة باحتراف .

لن تجرأ على النطق ، فإن كنت المبصر الوحيد
في قرية العميان ، لا تقل.
أنت الدخيل هنا ، الشيء غير النمطي .
ترى لم الإنسان يبني علاقات اجتماعية مع من
حوله !؟
الملل ؟ أو مقدار الكذب الذي نحيط هالتنا به ،
ف نجد أن الكذبة أهون من الحقيقة .
و ندور ، وتستمر ، وتلاقبك وحدك في النهاية
بثياب أنيقة و بشكل مهذب .
تريك أنك مجرد أضحوكة ضمن سلسلتها الهزلية
.
يا هزيل الروح ، وثقيل الوجود ، بقايا تراب ،
تتفخك ، فتطير .

الفصل الثامن

أعشق العيش في الأماكن المزدحمة ، كاسيت
لأغنية ، أسفل السرير ، الطاولات المليئة بالبقايا
، بين غبار الهواء ، أو فقط تكفيني ذاكرتك
أتمنى لو مشيت ، وأنت ركضت ، ووقعت

هناك طريقة واحدة للوقوع

لو كنت جيدة في لعبة الاختباء والظهور ، كما
كنا جيدين في جعل جميع الأمسيات مناسبة
للهيئة .

أوقفتك يوماً هزيمة الشمس أمام غيمة ضئيلة ؟
لو لم أجد الحديث لعينيك ، و لم تعلمني كما لم
يعلمني أحد قبل

لا تفهمني خطأ ، هناك طريقة واحدة للوقوع

أحب زجاجة عطرك ، شامتك ، نرجسيتك ،
الجحيم ، بواقي تبغك ، رائحتك الموسمية ،

مجاهرتك بالكره ، اخفائك للحنين ، صرير
. الأبواب القديمة ، كثرة أسئلتى وقلة أجوبتك
. احكامك الباب ، واستمراري بالتظاهر
. أنني لست أكثر من صديقة ، تقف على الحدود
في دور لم ترده ، دون نص ، دون إعداد ، دون
. نفسها
لا تشعر بحرارة الماء ، تبكي بهستيريا ، تضحك
بلا ضوضاء
تعيد الأشياء إلى أماكنها ، لكن لم تستطع إيجاد
مكانك
. فلا أنت هنا بقدر ما كنت أنا
. ولا أنت هناك بقدر ما بحثت أنا
. ولا أنت سهل كصعوبة التنفس هنا
. ولا صعب كالتصاقي في شعري أنا
. أنا استسلم
. أسفة
لا أذكر شايك المفضل ، كوبك الأحرق ،
ضحكتك المراوغة ، لعبك الجيد بالحقائق
. لا أذكر صلاةً للخلاص

الحياة على العموم فوضوية ، لا تعطي فرصًا ،
. وتقطع الأيدي الممدودة لوحدها
. تخاف عليها من برد الانتظار
. أتمنى الصلاة ، لقلب الموازين
. لدي مئة سبب جيد للبكاء
. لكني أريد واحدًا للانتحار
عزيري ،

أنا أنزف

ألا تعطيني ما أحتاج؟

عزيري ،

أريد سببًا جيدًا لأصلي

و الآن إلى أين؟!!

تكثر الأسئلة و الإجابات قليلة ولا تشفي .

كيف أبحث عنك الآن؟!!

سأجداك تحمل لافتة تحمل اسمي مضاءة بألوان

شارعية؟!!

أم ستمطر وترعد وأسير حذو المطر فأعلم أنك

-أنت- مصدره؟

لا أستطيع الشبع من جمال الشام ، حقيقةً أنتم

كلكم مليونون بجماليتها ، حساسيتها ، تقبلها ، و

الأهم

أرى فيها عينيك ، أسمع في صوت العصافير و

ازدحام الشوارع أحاديثك .

تشبهك المقاهي ، و أغانيها تُعبر عنك .

أخيراً وجدتُ المدينة التي تنتمي إليها وتنتمي

إليك؟!!

أستذكر جوليا كثيراً اليوم ، أتمنى لو كانت هنا .

ستكون الأشياء أقل تخويفاً .

و أتذكر ذلك الحديث دون غيره ، دون غيره :

عبير : إن كان يعلم أنني سأقوم بكذا وكذا ، لم لم يمنعني ؟

جوليا : وعندها ما ستكون الجدوى من الحياة ؟
وتكرارها ؟!

-أقصد ، هو يعلم النوايا والخبايا وكلّ شيء
إذاً لم يعطي فرصة للأذى و الخراب والحروب
جميع أولئك الناس مخطئون ويستحقون دفع
الثلث ؟

= يمكنك أخذها من زاوية أخرى أيضاً ، ربما هم
جيدون بما يكفي ليخرجوا من هذه الجلبة
ويصبحون فوق ، أمامه يستشعرون عظمته .
-و كثرة الخطايا ؟

= ميزان تفاضل يا حلوتي ، كما أصابعك ليست
كبعضها ، البشر كذلك
و علينا عيش كافة الأدوار .
أنتِ رائعة في قصة أحدهم ، وخائنة لدى آخر .
و عليك التمسك بالفضيلة و محاولة البقاء كما
أنتِ .

-لكن التغيير سمة المرء !

=ما المانع إن كان إيجابياً ، مثلاً إن زرعنا شجرةً في تربة مالحة وماتت ، نُلقي اللوم عليها ؟ أم أنتَ الغبي الذي أجبرها على التكيف مع شيء لا تريده ، لا يشبهها ، وهكذا نحن نُجبر .

منذ الولادة ! -oui-

يُختار اسمك ، عقيدتك، انتمائك، أولوياتك، شغفك .

وتسعى للتأكد من وجودك من خلال تصفيق الحاضرين .

= الذين يبائعونك ذات الفكرة ، و الجميع لا يجرؤ على رفع رأسه ، إيالكِ والنظر إلى النجوم سيصيبك العمى .

-تؤمنين بالجنة والنار ؟

=أؤمن أنها هنا على الأرض ، حياتك بين يديك إمّا تجعلها جنةً ، أو جحيمًا .

-لا أؤمن ، الله خلقنا بهذه الرغبة والنزعة و كتب لنا كلَّ شيء قبل قدمنا ، إذا لِمَ العقاب على ما لم نختره ؟

= هو هيا لك الأسباب و ترك لك الاختيار .
-لكنه يعلم قبلاً أن هذا هو مساري هكذا سأختار
أَمْضِي حياتي باختيار عكس ما أرغب ؟
وأكسر سِنة الكون !

= ستفعلين كلَّ ما هو مقدر ، خطأ أو صح
سيكون لديك الوقت لإصلاح أيِّ شيء .
-أحسد من لا يملك الوعي ، لا يأبه لأيِّ شيء
يظن أن جميع الأحداث تحدث دون إرادته
وجميعها ستُحل بشكل أو بآخر ، كبرنا و دفعنا
ضريبة الوعي .

= أشفقي عليهم ، سيأتي موعد استيقاظهم ، وهنا
صدمتهم بكم التأخر في حياتهم .
لن يقفوا على المواجهة ، بعضهم سينتحر
و البعض الآخر سيلقي على من حوله .
و قلة قليلة ستنتظر
أملاً

فجرًا جديدًا
مرسلاً من السماء
لكنها ستنتظر

إلى أي وقت ، لا أحد يعلم .
جميعنا ننتظر معجزة ما ، بإمكانها حلُّ كلِّ شيء .
كفيلم تجاريّ، أو قصة تخيلية .
-أخاف أن يكون كل ما أراه ، مجرد وهم ، حلم عميق .
و أستيقظ فجأة لأجد أن لا شيء حصل .
أنا وحيدة على سرير مُتعرِّق ، وابتداء رحلتي وأنا أعلم كل خطوة فيها .
أو أننا في حلم جماعي ، يتاح لنا كلُّ شيء .
= ربما الواقع الأكبر أشد مرارة ؟
-لا أعلم ، لكنّ أتوقع أنّ كل هذا مجرد "برومو"
تشويقيّ لما سيأتي .
= لو عُدتني من البداية ، ستختاريني؟
-أنتِ الخيار الوحيد الآمن دومًا .
ثمَّ مَنْ سيتحمل ثرثرتي حول كلِّ شيء؟
أتحدث عن ظل فراشة ، عن نهر السين ، عن مسز. ليمونت، طيشي ، هوسي
مَنْ سيتحمل ؟

= أيُّ قلبٍ محب ، اسمعي لا مغزى من كلامي
لكن تذكريه جيدًا .
هناك الكثير من الأشخاص في الخارج ، مثقلون ،
بسيطون ، مرحون ، مهووسون ، لكن لا أحد منهم
سيحبك بقدري .
-أعلم ، وأعلم أنني لم أقوى أن أكون مثلك يومًا .
= لا تقولي هذا الكلام ، استمري في إعداد الباستا
، وهذه أدفى التقديمات .
جميع الأطعمة تدخل معدتي ، إلا الباستا تدخل
قلبي .
-خائفة يا زوربا .
=مِمَ ؟ ألا تعلمين أن الله كالحزن في كلِّ مكان .
-لكنه لا يُجيب .
=استقتي قلبك ، ودعي الأموات يدفنون بعضهم .
-تبًا لقلبي ، تحيا الصخور .
=ليس خطأك ، هذه أنتِ بصورة مكتملة .
اسمعي قلبك واحضنيه .
-كبرنا على الهموم ، فقط اذهب للجحيم .

حرائقُ في كلِّ مكان .
الدموع أكثر من السكان .
إطارات محروقة ، سيارات إسعاف مكسورة .
هنا بدون أيدي ، وهناك بدون أرجل .
يا إلهي !
نهاية الخطايا هكذا !؟
الجميع يصرخ لكن لا أحد يصغي لأحد .
مَنْ علمهم البكاء في عز الفرح !؟
و الضحك في عز الآلام !؟
تمنيت لو أنطق بالعربية لصرخت " توقفوا " ،
لكن لا أحد سيسمعني ، ستتحول أهداف الحجارة
إلى رأسي .
يا إلهي
أفيقوا !
تدمرون لوحة بريئة يا أغبياء ، تمزقون أمّا
حنونة بسفاهة الجبناء .
تصلنا إنذارات الإخلاء والتوجه إلى السفارات .
يزن !
أين يزن الآن ؟؟

كيف أهرب وأترك السبب الذي أتيت لأجله؟!

" على جميع الأبناء من الرعية التوجه إلى
السفارة الفرنسية حالاً ، والالتزام بالهدوء وعدم
المشاركة في أعمال الشغب .
دمتم سالمين "

توقعت دخولهم التاريخ لكن ليس كأسوء مكان
للحياة ، ليس بمكان للحرب الأهلية ، الطمع ،
الجشع ، الدماء !
كيف أهرب في الطريق و هناك امرأة دون أقدام
تطلب مني المساعدة ؟
و طفل يصيح بكل ما للحياة من عنف ، بكل ما
للحب من قسوة " أين أمي ؟ " .
لم يسمحوا لي بالهرب ، في المرة الأولى التي
أحببت فيها الهروب ، عشقته ، تمنيته و أردته .
كل شيء أسود ومليء بالشعر .
كتل من الجحيم المتنقلة .
يصرخون " الله أكبر "
أين الله في أفعالكم؟!

أين الله في دمائكم؟!
أين وجوهكم من الله وأيديكم مليئة بالدماء؟!
الله بريء من غبائكم ، بريء من طيشكم .
الله لم يوجد هذه البشاعة ، لم يخلق هذه القذارة .
من أنت لتحل شرع الله .
و في لحظة مأساوية تُقبّلي البندقية .
و أظير
أتمنى لو أنّه كابوس ،
لكنّ أحلام اليقظة لكائن محدود كالإنسان .
لا تستحق التحقيق .

استيقظ في مكان يعج بالنساء ، المطلقات ،
لشعرهن و المكسوات بالبرقع والحجاب .
هنا حيث تساوينا للمرة الأولى !
لا يميزون بيننا ، جميعنا مباحات و متاع حرب .

هنا حيث نقف جميعنا تحت مظلة الخوف .
متساوون بالمسبب لا بالكمية ، مليؤون بالرغبة و
نخاف الحرية .

ليست الحرية التي نادوا بها ، ليس
الإصلاح-التخريب-الذي قاموا به .
نريد الرغبة في حرية الذات الإنسانية.
لا أن تعلم العصفور الطيران ثمّ تضعه في قفصٍ
مرصع بالياقوت .
اعطه السماء ، اعطه مساحته لينمو .

لدي هنا متسع كبير من الوقت كي أفكر .
لم يأتي اسمي في طابور الاغتصاب ، و
الحمامات مليئة بنواح من سبقوني من "المتاع" .
أنا أوفرهن حظًا !

الجميع يتفاداني و البعض لا يفهم لغتي ، فيتمتم
ويزمجر فأفهم أنه يأس من محاولتي .
للمرة الأولى أفرح أن لا أحد يلحظني ، لا رجلٌ
تثيره امرأة مثلي .

أفكر في يزن و جوليا ومدى سخف علاقتنا
وأوجاعي أمامهم .

عرفت البارحة إحدى الفتيات اسمها " فاديا " .
فاديا ،

فتاة غضة طرية رأت من الحياة كل ود ، تُتِمُّ عام
تخرجها من الأدب الفرنسي .

لاحظتني وكانت أول من شرح لي أسباب
الصراخ .

أسمعتني ما كنت أخاف منه .
إنهم الآن مثلنا يا يزن ، كل منَّا أحب الآخر
بطريقته وهو متمسك بها .

و كل منهم يحب وطنه ومقتنع بأسلوبه .
أخبرتني أنّها تستعد لعقد قرانها مع شاب أحبّته ،
رأته أمامها مرمياً بالرصاص كعصفور جريح.
تملك فاديا أثبت عينين قد رأيتهما يوماً .
جامدة ، ساكنة وميتة .
تراقب من يأتي وتخرج ، تراقب الأسقف القديمة
وتضحك ، تحفر بأظافرها نصوص لمعانانا
وتضحك .

تلفتني ضحكتها !

أنتغلب على الألم بالضحك يا يزن؟
الإنسان بدائي للغاية ، تعلم؟
أرى أن المشاعر تولد فكرة أو اثنتين كحد
أقصى.

لكنّ العقل طعامه الأشهى الأفكار .

يولد المئات والمئات منها .

و كلها تنبع من المشاعر ، لذا ننسى الألم
بالضحك؟!!

أحادث نفسي و أخاطبك بكل هذا الكلام، وأنا آمل
أنك تستمع .

أكررها في صدى نفسي وأتمنى أن تستقبلها
بخزعات علم النفس .
يديّ باردتان ، تشتاقني؟ أم لم تترك نار الهوى
يوماً بعد أن كويتك بها ؟
أتمنى لو أن مسز. ليمونت تراسلك الآن وخائفة
عليّ ، تبحث عنك وترغمك على البحث عني.
رغم قلة الأفكار في هذه الغرفة المليئة بالشعر و
الدموع ، مكتظة بك وبأنفاسك وبقلة تقديري لأيام
أحسست أنّها كانت عادية.
وأقل من المفروض وجوده.
أنتاساك وأراقب الفتيات ، كيف يحتضن أنفسهن
و يخافون صوت الباب الحديد المليء بالقول.
أخبرتني أمي عن وحش الفراش وأن النظر إلى
أسفله تجعله يهرب بعيداً .
لكن ماذا عن هذا الوحش الخارجي الآن؟!
لأول مرة أرى وجهي مليئاً بالكدمات ولا أشعر
بفكي السفلي من عزم الضرب ، لا أبالي بالشعر
المنكوش
و الرائحة النتنة هي العنوان العريض لنا.

أحلق إلى بعيد ، وأتأمل سيِّدة تقوم بطلاء أظافرها
تتابع الأخبار من باب المواكبة و تقول بصوت
ذو حزن مدروس " يا إلهي أشعر بمعاناتهم! "
كلا سيدتي ، أنتِ لا تشعرين.

لا أحد سيشعر ، مَنْ رأى ليس كَمَنْ سمع .

كيف ستمضي هؤلاء الفتيات حياتهن؟!!

عند أيِّ سبب سيشعرون أن الحياة ذات معنى و

الإله عادل؟!!

أعلم أن العدل كذبة ، لكنهم صدقوها !

كانت لديهم أحلام ، كانت لديهم آمنيات .

أنا لم أملك سوى حبًّا أفسط به ما تبقى من

عمري.

لكنهن مليئات بالحياة .

لعنةٌ عليها يا يزن كم هي صارمة .

أفعلوا ما يستحق هذا الثمن؟!!

أم

الآن جميع الإعدادات مقلوبة؟!!

طابور الاستحمام طويل جدًا ، كطريقنا للخروج.
الجميع مَلل و ينتظر ، ماذا؟ لا أحد يعلم.
المياه وسخة وذات رائحة ، ربما هي رائحتنا.
لكنّها ليست كالماء الذي نعرفه.
نستحم على عجل ونمضي .
أتأمل العيون مرّة أخرى ، تلك مليئة بالعواصف،
والأخرى غائمة جزئيًا مع احتمال لهطول
مطري، هناك في الزاوية تشبه زهرة
الفيلاذلفيوس ، والتي تمسد شعرها تشبه
الإعصار.
جميعنا أكوان مختلفة ، كُلُّ منّا تسبح في مكانها
الخاص.
تبنى عالمها اللطيف السابق بين ثنايا هذه الغرفة.
جميعنا نملك
لكنّ الأصوات مبسوطة .

إنّها النهاية ، أمسك أنفاسك وعد لعشرة ، أشعر
بالأرض تهتز بداخلك .
ونبضات قلبك داخل صدرك مرة أخرى ، حلمت
بنهايات أخرى ، بلحظات أخرى مناسبة .
لكن الآن تقول " فقط انهي الأمر ! "
أنتَ مسروق ، لست أنت .
تتمنى لو كنت "أنتَ" أفضل من النسخة الحالية
المتوفرة .
لكن السماء ستسقط على أية حال لحبها بتقبيل
الجبال .
ولن تستطيع الوقوف .
تملك الأسماء ، لكن لا تملك أيّ قلوب لإخبارها .
ستواجه كل شيء لوحدك ، والجميع يتدحرج إلى
الهاوية .
ستسقط بهدوء و يتدحرجون بهدوء ، لن نشعر
بأيّ شيء .
وخزة إبرة ، ثم لا شيء .
لا شيء ، صمت دامس ، ظلام كامل ، إسدال
شبه مشبع للحياة .

حاول حبس أنفاسك أكثر من الرقم عشرة ، علك
تسبقنا وتخبرنا أن هناك ما يستحق الانتظار.
شيء يؤكد عدالة الرب ، بلد غريب بعيد ،
يكرهون فيه اللباس الأسود ، يأمرون بقص
اللحي ، لا دماء فيها ولا أجساد ، نذوب كلنا
ونحن ندور ، نتحقق أحلامك ، والأصدقاء
القدامى مجتمعين ينتظرونك لإلقاء التحية والبدء
من جديد ، تجد وجهك ، وتعلم أنها ليست النهاية.
لكن لا تقلق ، ستجد-الحياة-غيرك ليتوسل إليها .
في بعض الأوقات ،
أمنت أننا نذوب في الحب.
وفي أوقات أخرى،
وجدت أنه يلذع ، كاقتراب الزبدة من الاحتراق.
أكره الاعتراف ،
لكن لم أستطع المتابعة ، لكن الأمر لم ينتهي.
لست قلقة ، ستجد الحياة غيري ، وتختبرها
وتتضرع إليها وتذكرها وتذبحها وترميها.

وكل مساوئنا أننا ارتكبنا أخطاءً ، اعتقدنا أنها ستصبح ذكريات مضحكة ، لكنّها كانت الشفة الفاصلة بين ذوبان الزبدة-أنت- واحتراقها-أنت-.

هنا إحداهن تُدعى "أم عبدو" تبدو من عينيها نزعة الدم ، تقوم بجلدنا يوميًا .

وأنا طبقها الأسهى ، تخيل يزن ! تعتقد أنني جاسوسة لما يُسمّى " الربيع العربي " وحالما أنطق بالمصرية تتأكد من شكوكها .

وتزجر وتضرب .

أتألم ، أتألم أنا هنا كثيرًا .

في المرة الأولى بكيت وعدت إلى الزنزانة ، احتضنتني فاديا وبكينا سويًا .

في المرة الثانية أتيت زاحفة لأن أقدامي تنزف وتئن كذب صغير وقع في شرك صيد.

في المرة الثالثة لم ابكِ ، وهذا ما أغاظها وجعلها

أقوى ، وفي كل مرة أقول داخلي " أقوى ! ،

دعيني أكفر عن كلّ شيء ، دعي يدي الله تتلقاني

وأنا على أتم الجاهزية "

الآن ، إن لم تأتي أقلق عليها وأتساءل " ربما
قتلت لعدم كفاءتها؟! " .

بُت أفتنع بنظرية " عشق المُغتصب " ، كيف
نبنّي تعاطفًا ورغبةً بمن يعذبنا ، يُعطينا نكهات
الحياة الأولى .

أفكر فيك في كل خطوة في هذا الممر ، وكيف
أنني سأظل أحبك ، في كل الأزمات ، بكم
الأوجاع والآهات هنا أحبك .

بمقدار خيبيتي وانتظاري و هروبي و يؤسي
وموت جوليا أحبك .

ذكريات جميلة بطعم مر ، قصاصات الجرائد .
هذا كل ما أخذه معي ، الوداع يا حلمي البعيد .
يا أميري الجميل ، يا رغبتني المنسية .

رجاءً لا تبكي ، كلانا يعلم أنني لست من تحتاج .
كلانا قطبان مختلفان ، لا يمكن أن نلتقي سوى
بكارثة .

أتمنى أن تعاملك الحياة بلطف أكثر من الذي
أشهده الآن ، والسعادة بكميات كبيرة لا تخطر في
بالك .

وأنا سأظل أحبك ، وأتردد إلى مناماتك لأخبرك
أنني هنا لأجلك.

في كل المحاولات ، الأفراح ، الأحزان ، ليالي
السبت الحزينة ، أمطار كانون الهادئة ، صخب
تموز ونار آب ، أنني هنا لأجلك.

إن تاهت الكواكب واحتترقت المجرة.
لأجلك هنا وأحبك هنا وأريد الموت في أرضٍ
كنت أنتَ بها .

يبدو الأمر كالأمس ، حَمَلْتِك فوق طاقتك ، لمتك
على أشياءٍ لم نستطع القيام بشيء تجاهها .
عندما لمست وجهك براحتي وطبعته في حواسي.
تعلم؟

أنا كاذبة لم أرَ سوى عينيك أينما خطوت في
روما.

لم أشتم سوى عطرك.
سامح كُلَّ أخطائي ، لا تعلم ما أستطيع القيام به
لسماع صوتك مجدداً.
حتى لو لم تُجب ، المهم أنك بخير.

الشعور يجرح بشكل لا يصدق يا يزن !
كان صعباً أن أقول وداعاً عندما كان الأمر
ممكناً، والآن أتمنى العودة لوداع عميق ، لقبلة
طويلة أسافر فيها أرجاءك.
أسفة على عدم قيامي بالكثير من الأشياء.
لو أمتلكت يوماً إضافياً !
لكررت لك كم أشتقت لك مذ خطوت بعيداً .
إنها فوضى عارمة هنا ، ربما أمي محقة أجلب
الفوضى أينما حللت.
لم أقصد أن أكون هكذا ولا اخترت طريقي يا
يزن.
أتمنى لو كنت معك الآن أمام المدفأة ، أنتظر
التحديث الجديد لفيسبوك لأرسل لك الكثير
والكثير من القلوب الحمراء .
تنظر في عيني ، وأشرب من بُن عينيك لأرى
العالم بصورة تشبهك .
حسناً أنا لا أستطيع سوى البكاء .
و السقوط في الحب معك.

الفصل التاسع

مع مرور الوقت
تعلم أن عدم الرد هو بحد ذاته رد
مع مرور الوقت
تفقد لذة الانتقاء وتميل لشجع الإملاء
مع مرور الوقت
لا تدوب الزبدة المتبقية ، و تعقد العديد من
جلسات الصلح فوق كتفك
مع مرور الوقت
لا يبقى للوقت معنى ، لا أنت أنت ، ولا عاد
للموسيقى معنى
مع مرور الوقت
تعلم نتيجة الطريق فتقرر الرقص فوق الخيم
مع مرور الوقت
تعلم جميع الأعذار ، و تتقبل عيبك التقني بأن لا
تسامح
مع مرور الوقت
تعلم أننا جميعاً ذات الإصدار ، بعضنا بدون قلب
و البعض الآخر يركض دماغه في مكان آخر
مع مرور الوقت

تتفهم شفيق ، وتشفق على سبونج ، ترى ريمي
في جميع الطرقات ، وفي داخلك سالي متناسية
مع مرور الوقت
تتفهم أنّك "مع وقف التنفيذ" في قوائم البعض، و
-قوائمك غبية -لكنك لن تفهم
مع مرور الوقت
تشدك الأماكن الخالية ، الأغاني العابرة ، و التبغ
-مومس شهية-
مع مرور الوقت
تنسى النصف الممتلئ ، تنسى الكأس
تنسى قدميك
مع مرور الوقت
كل شيء يمضي مع إمضاء من الذكرى
مع مرور الوقت
تعلم أن الذكرى أعظم الخطايا وأكثرها إغواء
مع مرور الوقت
أنت طازج كبرتقالة ، شهية كبرتقالة ، لاذع
كبرتقالة
مع مرور الوقت

تعلم أنك لنزلات البرد
مع مرور الوقت
من رآك بعين ، تراه بربع جفن نَعَس
مع مرور الوقت
لا تهتم ، إني أحشو الكلام ليس إلا

بعد وقتٍ ليس بكثيرٍ ولا قليلٍ ، بكمية مناسبة
للشفاء .

تحررت ، أنا وجميع الفتيات معي .
كأننا كنا في رحلة زمنية مختلفة إلى مكان آخر ،
أذت الشمس عيوننا والهواء النقي خنقنا .
قبلت الأرض وتمرّغت بترابها ، أحسست للمرة
الأولى بحلاوة الكلاب وحبها للأرض .
أردت العيش للمرة الأولى مع كل المآسي و
الأوجاع .

الآن،

ستجد فاديا منزلاً جميلاً لها تبني فيه بعيداً قصة
شيقة لأحفادها .

و أخريات ستتوج اسمائهن كبطلات .
وأنا الناجية البائسة الوحيدة -التي تتمنى بينها
وبين نفسها لو ماتت هناك- التي لا تعلم طريق
البدء من جديد .

عُدت من سورية بجرحين .
جرح الهوى ، ويْدُ مقطوعة .

لا أتذكر-والحمدلله لا أتذكر- لكننا خرجنا في
اشتباك حاد.

تخبرني فاديا أن أحد الألغام أدى إلى بتر يدي.
تخيل يا يزن اليد الوحيدة التي أمسكت يدك يوماً.
أخذت سورية مني كلَّ شيء لك وتركتني الآن.
أنا السجينة -سألقت نفسي-رقم صفر ، تسألني لم
صفر؟

فأخبرك أن حياتي كانت دائرة دون خروج .
أنني أقول لنفسي أنا دائماً في مجال السالب ،
عليّ العمل بجد لأصل إلى الصفر ، لكنني تعبت
وعلمت أن مستقيم الأعداد سخيف .
أنا الزنزانة رقم الصفر ، أنا حجاتها ، جردانها،
صراخها، ماؤها المتسرب ، حكايات من سبقتي ،
والأمل الميت داخلها ، أنا هي وهي أنا .
وكلانا عانى بما يكفي.
و الآن أتمنى الموت بهدوء أمام نهر السين.

وصلتُ فرنسا ، تطالعني نظراتهم بريية وخوف
من المظهر "غير اللائق" ، سحفاً لكم !
انظروا إنها مساحيق الحياة كاملة على وجهي ،
وهذه اليد هي ثمن مكاسرة الحياة .
اليوم وغداً وفي كل يوم مشمس قادم ، الحياة
منتصرة .

يُشير لي أحد الأطفال ويسأل أمه :

" Pourquoi sa main a-t-elle été
coupée ? "

انحنيت وقبّلت رأسه و همهمت :

" Je porte un souvenir d'amour,
mon cher "

" أحمل تذكّار حب يا عزيزي "

و ملأت أرجاء المطار صراخًا :

" Et ça n'aide pas à parcourir
l'endroit et la conscience est
toujours coincée " .

" ولن يفيد سفر المكان والوجدان ما زال عالقًا "

تَمَّتْ بِعَوْنِهِ تَعَالَى

٢٠٠٢٣ • مَارِس • ٢٠